Black plate (1,1)

كتابُ
الأربعينَ
فِي فَضَائلِ الصحابةِ

سحب تاسع (بي دي أف)/ كتاب الأربعين في فضائل الصحابة/٢٠١٢/٣/٨ | z:/Mkt2012/Minhaj/ktb40-fdael.3d

Black plate (2,1)

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م

كِتابُ الأَرْبَعِينَ فِي فَضَائِلِ الصَّحَابةِ

تأليف

د. عَبْدِ اللّه بنِ صالحِ بنِ مُحمَّدٍ العُبَيْد

دار المنهاج



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتَمِ النبيين، ورحمةِ الله للعالَمِين؛ سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعـد:

فإنه من دواعي سروري أن أشهد هذا اللقاءَ المباركَ الذي تنظمه مَبرَّةُ الآل والأصحاب مشكورة، لنقضِيَ مع هذا الجمع الطيب والحضور الكريم ساعة في رحاب الآل والأصحاب وفضائلهم وتراثهم ومآثرهم، التي لا يضاهيهم فيها أحد؛ فهم مَن حَمَلَ الدين إلينا، وبذلوا أرواحهم في سبيل نصرته ورفعته ونشره في أرجاء الأرض، وضربوا أروع الأمثلة في التضحية والفداء.

وإنني إذ أتقدم بالشكر الجزيل لمَبَرَّةِ الآلِ والأصحاب على هذا العمل الطيب وما تقوم به من أعمال جليلة، أخص بالشكر رئيس المبرة د. عبد المحسن الجار الله الخرافي، والأخ الأستاذ محمد يوسف المزيني صاحب فكرة جلسات سماع الأربعينات في الفضائل.

والشكر موصول إلى صاحب كتاب الأربعين حديثًا في فضائل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، الذي قام بجمع أسانيده إلى منتهاها، العلَّامةُ الشيخُ عبد الله بن صالح العبيد من المملكة العربية السعودية الشقيقة على جهده المبارك وتقديمه لنا هذا الكتاب الذي يثري المكتبات الإسلامية ولا يستغني عنه مسلم.

وكذلك أتقدم بالشكر الجزيل أيضًا إلى الإخوة في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على اختلاف مستوياتهم الوظيفية؛ على الاهتمام والاعتناء بمآثر الصحابة رضوان الله عليهم، الذي من شأنه إحياء سُنَّة نبينا ﷺ، كما أنه مادة فعالة في جمع المسلمين حول حب آل البيت والصحابة رضي الله عنهم جميعًا، وأخص بالشكر إدارة المسجد الكبير لما بذل منتسبوها من جهد طيب؛ كان له أطيبُ الأثرِ في تهيئة التجهيزات المطلوبة.

وإن من واجب الوزارة أن ترعى مثل هذه الفَعَاليات الطيبة، وهي بالفعل سبَّاقَة تستنفذ طاقاتها لكل ما من شأنه جلب النفع للمسلمين، وإننا لنتقرب إلى الله ﷻ بهذا العمل، وبحب آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وآله وصحابته الأبرار الأخيار.

وإن فكرة طبع ونشر هذا الكتاب لَفكرةٌ طيبةٌ مباركةٌ؛ لتعم الفائدة على المسلمين كافَّةً.

أسأل الله تعالى أن يوفق القائمين على تنفيذها إلى الخير والسداد، وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسنات كل مَن كانت له يدٌ بيضاءُ في سبيل إتمامه وإنجازه يوم القيامة.

والله من وراء القصد .. وهو يتولى المحسنين.

د . عادل عبد الله الفلاح
وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية

مُقدِّمةُ المَبَـرَّةِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعلى آله الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فلما كان الهدف الأسمى من إنشاء مَبَرَّةِ الآلِ والأصحابِ: **العملَ على غرس محبة آل البيت والصحابة الأخيار الأطهار في نفوس المسلمين،** وهو ما نُصَّ عليه في واقع النظام الأساسي للمبرة؛ تحت البند الأول من أهدافها، قامت المبرةُ بفضل الله بعقد مجلس سماع لكتابٍ مباركٍ، جَمَعَ فيه مؤلِّفُه الفاضلُ **أربعينَ حديثًا في فضائلِ صحابةِ النبيِّ** ﷺ.

فهذا الكتاب حوى أحاديثَ مباركةً في فضل صحابة نبيِّنَا ﷺ، لا شك أن العناية به والحرص على تحصيله، والانتفاع به قربة توصل صاحبها إلى مرضاة الله ﷻ.

ولأجل هذه المنزلة العظيمة لصحابة نبينا ﷺ، توافدت جموع الحريصين الجادِّينَ من كل ناحية لاستماع هذا المجلس المبارك، والاتصال بنبينا ﷺ عن طريق هذه الأسانيد المباركة.

هذا الكتاب المبارك قد قام بجمعه وتأليفه الشيخ الفاضل

عبدُ اللهِ بنُ صالحِ بن مُحمَّدٍ العبيد، بروايته بالأسانيد المتصلة لنبينا ﷺ.

وأهل الحديث وإنِ اعتادوا أن يجمعوا أربعينيات لهم في شتى الفنون، وأبدعوا في ذلك أيما إبداع، إلا أنه يبقى لهذه الأربعين المباركة طابعها الخاص؛ لما فيها من غرس محبة الصحابة الأخيار وتعظيمهم في قلوب المسلمين، وتوجيه أنظارهم لما اختصهم الله ﷻ به من مزيد فضل، **ولا شك أن المسلم الصادق هو المحب لمن أحبهم نبينا ﷺ**.

نسأل الله العظيم أن يضاعف المثوبة لمؤلف هذا الكتاب، وأن يرفع درجته في عِلِّيينَ، وأن يجمعنا وإياه وكُلَّ مَن ساهم في عقد هذا المجلس المبارك، وكل من حضره مع نبينا صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه في الفردوس الأعلى.

وإتمامًا لهذا العمل المبارك، وحرصًا من المبرة على توسيع نطاق الفائدة، وعدم حصر هذا الخير فيمن حضروا مجلس السماع المبارك، **قَامتِ المبرةُ بحمد الله وتوفيقه بطباعة هذا الكتاب المبارك**، راجية من الله ﷻ أن يكون خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكون نافعًا، ورافعًا لمؤلفه وناشره وكل من ساهم في إخراجه، وقارئه في الدنيا والآخرة؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين.

رئيس مبرة الآل والأصحاب
د.عبد المحسن الجار الله الخرافي



مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله ولي الصالحين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعـد:

فهذا كتاب الأربعينَ في فَضَائلِ الصحابةِ رضي الله عنهم، قد سُمع عليّ في الكويت أوَّلاً، ثم سمع عليَّ في الرياض، في مجلسين من مجالس التحديث، وفي جمع غفير من أهل العلم وحملة الرسالة، جزاهم الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء وأوفاه.

وشكر الله لمعالي المستشار العلامة راشد بن عبد المحسن الحماد نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون القانونية بدولة الكويت الشقيقة على رعايته هذه المناسبة العلمية.

كما أشكر سعادة وكيل وزارة الأوقاف الفاضل د. عادل الفلاح على تشريفه هذه المناسبة.

وشكر الله لأصحاب الفضيلة وللإخوة القائمين على مبرة الآل والأصحاب، وأخص بالذكر رئيس المبرة سعادة الأستاذ الدكتور المكرم عبد المحسن الجار الله الخرافي على دعوته الكريمة لي، وحرصه على إخراج هذا الكتاب ومتابعته الشديدة له، وطباعته على نفقة المبرة. ولولاه بعد الله لم ير هذا الكتاب النور.

كما أخص بالذكر أخي وحبيبي الشيخ المبارك محمد المزيني. فهو صاحب السبق في التنسيق لهذا المجلس، والمبرمج لجميع مراحله، وكذا ما قبله من كتاب الأربعين في فضائل آل البيت الطاهرين.

والحمد لله أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا

المؤلف





المُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أضاء العالَم بنور النبوَّات، ومحا ظلمات الخلقِ بضياءِ الرسالات، أحمده على بركاته التي يَعْجِز عن حصرها كل لسان، وَيَيْأس من عدّها كل بَنَان.

وأصلي وأسلم على رسوله الذي أذهب الله برسالته الأَكَاسِرَه، وبَدَّد بشريعته القَيَاصره، وطهَّر بدينه رِجْس الأوثان، وأَخْمَدَ بنوره بيتَ النيران، وعلى آله وصحبه صلاة تجاوز المشارِق والمغارِب، وتَعُمُّ أتباعهم بإحسان من كلّ دَانٍ وغارِب.

أما بعدُ:

فإن الله جلّت قدرته اصطفى رسوله محمدًا ﷺ من بين سائر الأُمم، وخصّه بأصحابٍ هم خير أصحاب الرسل، أثنى الله عليهم في كتابه المبين، وحكى غفرانه ورضاه عنِ الأولين منهم والآخِرين، ونوَّعَ ذكرهم بأجمل خطاب، وصَرَّف سِيَرَهم بأبهى كتاب، حتى مَدَحَ ديارهم ومنازلَهمْ، وشكر أفعالَهم وأقوالَهمْ، وأخبر أنه باهى بهمُ الأُمم في التوراة والإنجيل؛ فدخل في عموم ذلك الصغير منهم والجليل.

قال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨ ـ ١٠].

وقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

رفعوا راية الإسلام شرقًا وغَرْبًا، وفتحوا الأمصار والأقطار فاستحالتْ غَرْبًا، بذلوا زَهْرة شبابهم في ذُروة سنام الإسلام، وأفنَوْا أعمارهم في حمل دين الله إلى الأنام، زَلزلتْ جيوشُهم عروش الدول المُخْتَلّه، ودكّت كتائبُهم أرباب البلاد المُعْتَلّه.

كَمْ مِنْ قتيلٍ لإبليس قد أَحْيَوْه! وكَمْ مِنْ غافلٍ جاهلٍ قد هَدَوْه! نَفَوا عن كتاب ربهم تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، لم يتركوا طريقًا مما يحبُّ الله إلا سلكوه، ولا بابًا مما يُرضي الربَّ إلا دخلوه، سبقوا الناس إلى كل خير وفضيله، وحذَّروا الخلق من كل ضَيْر ورذيله، نصحوا الأُمَّة في عظيم الأمور وخَفِيِّها، وأبانوا عن وجوه الشريعة مَنْشُورها وطَوِيّها.

حَفِظوا كتاب رب الأرباب حتى أوصلوه لنا طَرِيًّا غَضًّا، وأقرأوه ونشروه في الآفاق طولًا وعَرْضًا، وَرَوَّوْا لنا السُّنَّة من غير زيادة ولا نقصان، وكشفوا عن معانيهما اللؤلؤ والمرجان.

ففي جَمْعِهم للقرآن وحِفْظهم للسُّنَّة، وفَتْحهم للعالم، ونَشْرهم للإسلام، وقيامهم بنصرة الرسول والرسالة، مع ضعفهم وقلَّتهم، في مناقب لا تحصى، وفضائل لا تُستقصى ـ: كل ذلك لم يَشْرَكْهم في أصله أحد، ولم يزاحمهم في السبق والبذل والدٌ من غيرهم ولا وَلَد، ولهذا رُوِّينا عنِ النبي ﷺ الوصيةَ بهم في غير موضع؛ كقوله ـ في جامع الترمذي وحَسَّنَهُ ـ: (**اللهَ اللهَ في أَصْحَابِي**).

وقال الإمام العادل عمر بن عبد العزيز ـ فيما رُوِّيناهُ عنه في «السنن» لأبي داود ـ: «. . . . ارْضَ لِنَفْسِكَ مَا رَضِيَ بِهِ القَوْمُ لِأَنْفُسِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ عَلَى عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا، وَلَهُمْ عَلَى كَشْفِ الأُمُورِ كَانُوا أَقْوَى، وَبِفَضْلٍ مَا كَانُوا فِيهِ أَوْلَى، فَإِنْ كَانَ الهُدَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ، لَقَدْ سَبَقْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ، وَلَئِنْ قُلْتُمْ: إِنَّمَا حَدَثَ بَعْدَهُم، مَا أَحْدَثَه إِلَّا مَنِ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ، وَرَغِبَ بِنَفْسِهِ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ هُمُ السَّابِقُونَ، فَقَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ بِمَا يَكْفِي، وَوَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي، فَمَا دُونَهُمْ مِنْ مُقَصِّرٍ، وَمَا فَوْقَهُمْ مِنْ مُحَسِّرٍ، وَقَدْ قَصَّرَ قَوْمٌ دُونَهُمْ فَجَفَوْا، وَطَمَحَ عَنْهُمْ أَقْوَامٌ فَغَلَوْا، وَإِنَّهُمْ بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ».

ورُوِّينا في السنن لابن ماجهْ عن ابن عمر رضي الله عنهما بإسناد صحيح أنه قال: «لا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَلَمُقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمُرَهُ».

وكذلك الاستغفار لهم، وأول مَنِ امتثلَ الأمرَ سيد ولد آدم ﷺ؛ قال تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقالت أم المؤمنين الصِّدِّيقَةُ بنتُ الصِّدِّيقِ رضي الله عنهما ـ كما في «الصحيح» لمسلم ـ: «أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَبُّوهُمْ» وإن حصل بينهم خلاف أو شجار أو قتال، فإن الله سمّاهم مؤمنين بل إخوة؛

كما قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ﴾ [الحجرات: ٩ ـ ١٠].

«وروى ابن بطة بالإسناد الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَمَرَ بِالاِسْتِغْفَارِ لَهُمْ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ سَيَقْتَتِلُونَ»[(١)].

وصحّ عن الصِّدِّيقةِ كذلك أنه قيل لها: «إن ناسًا يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى إنهم ليتناولون أبا بكر وعمر! قالت: مَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا، انْقَطَعَ عَنْهُمُ العَمَلُ فَلَمْ يُحِبَّ اللهُ أَنْ يَقْطَعَ عَنْهُمُ الأَجْرَ».

وأخبرني جَمْعٌ من علمائنا بإسنادهم عن الشيخ تقيِّ الدينِ ابنِ تيميَّةَ في كتابه[(٢)] نقلًا عن أئمة السلف قال: ويُمْسكون عمَّا شَجَر بين الصحابة، ويقولون: إن هذه الآثارَ المرويَّةَ في مساوِئهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغيّر عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذرون، إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل تجوز عليهمُ الذنوبُ في الجملة، ولهم منَ السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنه يُغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسناتِ التي تمحو السيئاتِ ما ليس لمن بعدهم، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب

(١) ما بين هذين القوسين من منهاج السُنَّة.
(٢) الواسطية. مختصر.

فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غُفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد ﷺ، الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفّر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحقَّقة، فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين؟! إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور.

ثم القَدْرُ الذي يُنكَر من فعل بعضهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم؛ منَ الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح، ومَن نظر في سيرة القوم بِعِلْمٍ وبصيرة وما مَنّ الله عليهم به مِنَ الفضائل، عَلِم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهمُ الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله تعالى.اهـ.

وقد ذادوا عن حياض المِلّة، يوم وقعت الرِّدّة من بعض المنافقين والعرب، ومع هذا فلم يُحفَظْ أن أحدًا مِنَ المنافقينَ في زمن النبوة استُشهِدَ في المغازي، أو شهد له النبي ﷺ بالجنة، أو روى شيئًا من الكتاب والسُّنَّة، بَلِ التنزيلُ شاهدٌ بِفَضْحهم بأوصافهم، وإبلاسهم في إركاسهم، وهذا من الآيات الدالة على صدق الله ﷻ في وعده بحفظ الدين إلى قيام الساعة.

هذا:

والمَرْوِيُّ في مناقب الصحابة كثيرٌ جِدًّا، يصعب على من يريد حَصْرَها عدًّا، وقد عَمَدْتُ إلى أربعينَ منها صحيحةٍ، وروايات فيها صريحة، مسنَدَةٍ في دواوينِ الإسلام التي تلقتها الأُمَّةُ بالسماع، وأفرغوا أعمارهم فيها بالإسماع، وطرَّزْتُ فضائلهم بِحَلْي الفوائد، ورقمتُ أَكْمامَها وسَدَاها بِمُذْهَبَات الشوارِد.

رضي الله عنهم أجمعين، ورفع درجاتهم في المَهْدِيينَ، وألحَقَنَا بهم في الصالحين، مع أتباع الرسل والنبيين.

والحمد لله رب العالمين.



الحَدِيثُ الأَوَّلُ

أخبرنا العلَّامة القاضي السيدُ زيدُ بنُ عليٍّ السُّدمي بقراءتي عليه بالروضة قرب صنعاء، أخبَرَنا والدي، أخبَرَنا محمد بن محمد بن علي العَمْرَانِيُّ، أخبَرَني والدي، أخبَرَنا القاضي أحمد بن محمد قاطِن الصَّنْعَانِيُّ، أخبَرَنا يحيى بن عمر الأهدل، أخبَرَنا أبو بكر البَطَّاح، أخبَرَنا يوسف البَطَّاح، أخبَرَنا الطاهر بن حسينٍ الأهدلُ، أخبَرَنا الحافظ ابن الدَّيْبَع، أخبرنا الحافظ السخاويُّ، أخبرنا الحافظ ابن حجر، أخبرنا البرهان التَّنُوخِيُّ، أخبرنا المُسْنِد المُعمَّرُ أبو العباسِ الحجَّارُ، أخبرنا الحسين بن المبارك الزَّبيدي، أخبرنا أبو الوَقْت السِّجْزِيُّ، أخبرنا أبو الحسن الداوُدِيُّ، أخبرنا ابنُ حَمَّوَيْهِ السَّرَخْسِيُّ، أخبرنا محمد بن يوسف الفِرَبْريُّ، أخبرنا الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريُّ الجُعْفيُّ مولاهم، قال:

حدثني هشام بن عَمَّار، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا زيد بن واقِد عن بُسْر بن عبيد الله عن عائِذِ الله أبي إدريس عن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال:

كنتُ جالسًا عند النبي ﷺ إذ أَقْبَل أبو بكر آخِذًا بِطَرَفِ ثوبه حتى أبدى عن رُكْبَته، فقال النبي ﷺ: **(أَمَّا صَاحِبُكُمْ، فَقَدْ غَامَرَ)**[(١)]، فَسَلَّم

---

(١) **غامر**: أي: دَخَل في أمر عظيم.

وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطَّابِ شيءٌ، فأسرعتُ إليه ثم ندمتُ، فسألته أن يغفرَ لي، فأبَى عليَّ، فأقبلتُ إليك، فقال: (**يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يا أبا بَكْرٍ!**) ـ ثلاثًا ـ. ثم إن عمر نَدِمَ فأتى منزل أبي بكر فَسَأل أَثَمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا. فأتى إلى النبي ﷺ فَسَلَّمَ فَجَعَلَ وَجْهُ النبي ﷺ يَتَمَعَّر حتى أشفق أبو بكر، فَجَثا على رُكبتيه فقال: يا رسول الله، والله أنا كنتُ أَظْلَمَ ـ مرتين ـ. فقال النبي ﷺ: (**إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو**[1] **لِي صَاحِبِي؟!**) مرتين، فما أُوذي بعدها.

• رواه البخاري. ووهم من عزاه لمسلم.

وبهذا الإسناد وغيره نروي الصحيح عاليًا جِدًّا مسلسلًا بالسماع طبقة طبقة من فاتحته إلى خاتمته.

* * *

فيه مسائِلُ:

الأُولَـــى: فيه المنقبةُ العظيمةُ لخليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ حيث أطلق عليه النبي ﷺ اسم الصاحب، حتى صار عُرْفًا شَرْعِيًّا؛ كما في قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

الثانـيـة: فيه كذلك غَضَبُ النبيِّ ﷺ لأبي بكر.

(١) قوله: (**تَارِكُو**) الأصل أن يقول: «تاركون». لكن حذف النون هنا لما أضيف إلى (**صاحبي**) وإن فُصل بينهما بالجار والمجرور «لي» لأن ذلك جائز، وهذا الحديث من شواهده؛ ولذا قال ابن مالك:

فَصْلَ مُضَافٍ شِبْهِ فِعْلٍ ما نَصَبْ ... مفعولًا اَو ظَرْفًا أَجِزْ وَلَمْ يُعَبْ

الثالثة: قوله: (**فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي...**): المخاطب بذلك عمر وعثمان وعلي وبقية العشرة وسائر سادات الصحابة؛ ففيه مع غضبه ﷺ بيان منزلة أبي بكر وعلوها على الصحابة كافة؛ ولذا قال عليّ رضي الله عنه ـ كما في «الصحيحين» ـ: «إنَّا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله، ولم نَنْفَس عليك خيرًا ساقه الله إليك»، فمن أراد أن يتحقق فضل أبي بكر على الصحابة كلهم فليتأمل غضبه ﷺ في هذا الحديث على عُمَر، وَعُمَرُ عُمَرُ.

الرابعة: قوله: (**فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي**): قال الإمام أبو حفصِ ابنُ شاهينَ: «تفرّد أبو بكر الصديق بهذه الفضيلة لم يَشْرَكْهُ فيها أحد». اهـ.

الخامسة: فيه أن مَن آذى أبا بكر، فقدِ استوجَبَ غضبَ النبيِّ ﷺ فكيف إذا كَفَّره أو سبّه؟! ولذا قال الأوزاعي وغيره من الأئمة: «مَنْ شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه فَقَدِ ارْتَدَّ عَنْ دِينِهِ وَأَبَاحَ دَمَهُ»، وقال الإمام أحمد فيمن شتم أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة رضي الله عنهم: «مَا أُرَاهُ عَلَى الإِسْلَامِ».

السادسة: قوله: (**فَهَلْ أَنْتُمْ...**): فيه دليل لما قال العلماء من أن هذه الصيغة نَصٌّ في الإيجاب في عُرف الشرع، والمعنى «انتهوا»، كقوله تعالى بعد ذكر الخمر والميسر والأنصاب والأزلام: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

السابعة: فيه أن المفضولَ لا يليقُ به أن يغاضِبَ من هو أفضل منه.

الثامنة: فيه مشروعية الغضب للأفاضلِ منَ العلماءِ وسادات الصالحين.

التاسعة: فيه الإيماءُ إلى استخلافِ أبي بكرٍ، ففيه الدفاع عن أئمة المسلمين وصالحي الولاة.

العاشرة: جواز مدح الرجل بما فيه من الفضل أمام الناس، إذا غلب على الظن عدم اغتراره بذلك.

الحادِيَةَ عَشْرَةَ: فيه التنبيه على أن خطأ بعض الصحابة على بعض لا يوجب الخروج من الدين.

الثانِيَةَ عَشْرَةَ: فيه أن صالحي العلماء والولاة لا بد أن يجري عليهم ما طبع عليه الإنسان من البشرية، حتى يحمِلهم ذلك على فعل ما يخالف الشرع، والسعيدُ منهم مَن صحح ذلك؛ بالاستغفار والإنصاف والورع.

الثالِثَةَ عَشْرَةَ: فيه أن التحلُّلَ مِنَ المظلوم من أخلاق الصدّيقِينَ.

الرابعةَ عَشْرَةَ: فيه أن الركبة ليست مِنَ العورةِ.

الخامسةَ عَشْرَةَ: فيه أن سرعة الرجوع إلى الحق إنما تقع من أشراف الصدّيقين.

السادسةَ عَشْرَةَ: قوله: (**إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ**): فيه دليل على أن أبا بكر أوَّلُ مَن أسلَمَ، وهو كالنصّ في المسألة، لكن لعله يستثنى من ذلك خديجة رضي الله عنها؛ فإن الظاهر أنها أسلمت قبله؛ كما يدل على ذلك حديث الغار، فإنه ﷺ بعد أن رجع منه قصّ عليها الخبر فقالت: «كَلَّا أَبْشِرْ فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا...» الحديثَ؛ كما في «الصحيحين»، وقد روي أن عَلِيًّا هو أولُ مَن أسلم، وروي عن زيد بن حارثة كذلك، وجمهور أئمة السلف والخلف على أنه أبو بكر، والأخبار تقوي ذلك، بل كان هذا معروفًا بين أصحاب رسول الله ﷺ حتى قال حسان بن ثابت فيما رُوِّيناهُ في قصيدة له:

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجْوًا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ فَاذكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا
التَّالِيَ الثَّانِيَ المَحْمُودَ مَشْهَدُهُ وَأَوَّلَ النَّاسِ طُرًّا صَدَّقَ الرُّسُلا

بل قال أبو بكرٍ نفسُهُ ـ كما رواه عبد الله ابن الإمام أحمد بسند صحيح ـ عن أبي نَضْرَةَ قال: أبطأ عليٌّ والزبير عن بيعة أبي بكر، فلقيه أبو بكر فقال: «يَا عَلِيُّ أَبْطَأْتَ عَنْ بَيْعَتِي وَأَنَا أَسْلَمْتُ قَبْلَكَ...».

قال الحافظ ابنُ كثير في «البداية»: «وقد أجاب أبو حنيفة رضي الله عنه بالجمع بين هذه الأقوال بأن أول مَن أسلَمَ مِنَ الرجالِ الأحرار أبو بكر، ومِنَ النساءِ خديجةُ، ومِنَ المَوَالِي زيدٌ ومِنَ الغِلمانِ عَلِيٌّ رضي الله عنهم أجمعين». اهـ مختصرًا.

السابعةَ عَشْرَةَ: فيه أن الصفح أحب إلى الله تعالى ورسوله ﷺ مِنَ استيفاءِ حظِّ النفسِ.

الثامنةَ عَشْرَةَ: فيه أن تنافر القلوب مما لا يحبه الله ورسوله.

التاسعةَ عَشْرَةَ: فيه أن جمع كلمة العلماء والدعاة على كلمة سواء أصل من أصول السُّنة.

العِشْرُونَ: فيه أن عدم قَبُول الاعتذار من المخطئ من موجِباتِ غَضَبِ الله ورسوله، وأما إن حصل من المخطئ ما يوجب ضمانًا أو أرشَ مُتْلَفٍ فمسألة أخرى غير هذه.

الحاديةُ والعِشْرونَ: فإن قيل: فقوله: **(تَارِكُو لِي صَاحِبِي)** ما معناه؟

فالجواب: أن مسمى الصحبة عند النبي ﷺ له اختصاصات، وإلا فسائر الصحابة له صاحب، والمعنى: اتركوا من سبقكم بالصحبة ولا تؤذوه، وهكذا الحديث الآتي: **(لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي)**، وهذا كما أن

جنس الرسل فَضَّلَ اللهُ بعضهم على بعض؛ فكذلك أصحابُ الرسُل؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠].

هذه سُنّة عامة في الشرع المُطهَّرِ أن **كلّ من سبق إلى شيء فله من الاختصاصِ به والنصرة والكف عن خطئه ما ليس لغيره**، وسائر النصوص من الكتاب والسُّنة دالة على هذا الأصل العظيم في عدةِ أخبارٍ وجملةِ أحوالٍ كهذا الحديث، والحديثِ الآتي عن الأنصار: **(اقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَكُفُّوا عَنْ مُسِيئِهِمْ)**: وكحديث الإسراء في رواية الطبراني والحاكم وغيرهما: **(فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَقَالَ: هَذَا أَخُوكَ مُوسَى. قُلْتُ: عَلَى مَنْ كَانَ تَذَمُّرُهُ وَصَوْتُهُ؟ قَالَ: عَلَى رَبِّهِ، قلتُ: عَلَى رَبِّهِ؟! قَالَ: نَعَمْ قَدْ عَرَفَ ذلكَ مِنْ حِدَّتِهِ)**، فاعتبر بحال موسى ويونس عليهما السلام؛ فإن يونس لما ذهب مغاضِبًا ولم يكن له من السبق والنصرة ما لموسى؛ فقد حبسه الله في بطن الحوت، وأما موسى فإن الله احتمل له غضبه في عدة حوادث، كما أخبرنا الله عنهما في كتابه العزيز.

فَلْيعرِفِ امرؤٌ قدْرَهُ، ولْيلبَسْ ثوبَ التواضُعِ والذِّلَّةِ للمؤمنينَ.

الثانيةُ والعِشرُونَ: فيه أن على أهل الحكمة استرضاءَ العالم والإمام إذا غضب؛ جمعًا للكلمة وتوحيدًا للصف.

الثالثةُ والعِشرُونَ: فيه أن نصرة الدعوة بالنفس والمال من مقامات الصدّيقين، وهو مما يرفع درجة المكلف، ويُقدّمه على غيره، ولا سيما عند المزاحمة.

الرابعةُ والعِشرُونَ: فيه فائدة دَعَويةٌ عظيمةٌ؛ وهي ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من الصراحة والوضوح، وصدق الأُخوَّةِ، والتناصُحِ والتغافر،

مما ليس لمن جاء بعدهم عُشرُ مِعشارِهِ، ولا غَرْوَ؛ فإنهم اصطفاء الله ﷻ، ورعاية سيد الأولين والآخرين.

الخامِسَةُ والعِشرُونَ: قال شيخ الإسلام ابنُ تَيميَّةَ: «اختصاص أبي بكر بكمال الصحبة الإيمانية لم يَشْرَكْهُ فيها مخلوقٌ، لا في قدرها، ولا في صفتها، ولا في نفعها؛ فإنه لو أُحصِيَ الزمانُ الذي كان يجتمع فيه أبو بكر بالنبيِّ ﷺ والزمانُ الذي كان يجتمع به فيه عثمانُ أو عَلِيٌّ أو غيرُهما مِنَ الصحابة، لوجد ما يختصُّ به أبو بكر أضعافَ ما اختصَّ به واحد منهم...»اهـ مختصرًا.

السادِسَةُ والعِشرُونَ: فيه عُمقُ محبة الصحابة بعضهم بعضًا؛ فإن أبا بكر بعد أن رأى غضب النبي ﷺ على عمر أشفق أبو بكر؛ فجثا على ركبتيه ثم قال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلَمَ، «مرتينِ»، وهم كما وصفهمُ الله تعالى ـ وهو ربهم لا أعلم منه أحد، ولا أصدق منه والد أو ولد ـ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾ [الفتح: ٤٩].

فلِمَن بعدَهم بهم أسوةٌ في البِدارِ إلى الإصلاح، والمسارعةِ إلى المحبةِ والرحمةِ، والبُعدِ عَنِ التدابُرِ والتباغُضِ والإعراض، وتركِ التشفّي حال الخصوماتِ، فهذا اختبار وقع في هذه المدرسة النبوية، وقد نجح نجاحًا باهرًا، وانظر إلى اختباراتٍ وقعت اليوم في المدرسة الدَّعَوِيَّةِ تُعَرِّفْكَ صدقَ السالكينَ، وسَرِيرةَ التابعينَ.





أخبرني الفقيه المعمَّرُ عليُّ بن حَمَد الصالحيُّ النجديُّ الحنبليُّ والعلامة المشارك المعمَّرُ عبد الله بن عبد العزيز بن عَقيل النجدي الحنبلي بقراءتي عليه ومناولة الأول بالرياض كلاهما عن علي بن ناصر أبو وادي، أخبرنا نذير حسين الدهلوي، أخبرنا محمد إسحاق الدهلوي، أخبرنا الشاه عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي، أخبرنا أبي، أخبرنا أبو طاهر بن البرهان الكوراني، أخبرنا حسن العجيمي، أخبرنا الشمس البابلي عن سالم بن محمد السنهوري، أخبرنا النجم الغيطي، أخبرنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، أخبرني إبراهيم بن صدقة الحنبلي، أخبرنا عبد الرحيم بن عبد الوهاب الحَمَوي، أخبرنا أبو العباس الحجار بإسناده[(١)] إلى الإمام البخاري قال:

حدَّثنا مُوسَى بنُ إِسْمَاعِيلَ، حدّثَنا أَبُو عَوَانَة، عنْ حُصَيْنٍ عَنْ عُمْرو بنِ مَيْمُونٍ قَالَ: رَأيتُ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ ﷺ قَبْلَ أنْ يُصابَ بأيَّامٍ بِالمَدِينةِ وقف على حُذَيْفةَ بنِ اليَمَانِ وعُثْمانَ بن حُنَيْفٍ، قال: كيفَ فعلتما أتخافان أن تكونا قد حمَّلتُما الأرض ما لا تُطِيقُ، قالا: حمَّلْنَاها أمْرًا هي له مُطيقةٌ ما فيها كَبير فَضْلٍ قال: انظُرا أن تَكونا حمَّلْتُما الأرض ما لا تُطِيق، قالَ: قالا: لا، فقال عُمَرُ: لَئِنْ سَلَّمَنِيَ اللهُ، لأدعنَّ أرَامِلَ

(١) في الحديث الأول.

أهْلِ العِراق لا يحْتَجْنَ إلى رجلٍ بعدِي أبدًا، قالَ: فما أتت عليه إلا رابعةٌ حتَّى أُصِيبَ قال: إني لقائمٌ ما بَيْنِي وبينه إلَّا عَبْدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ غداة أُصِيبَ وكان إذا مرَّ بين الصَّفَّيْنِ قال: اسْتَوُوا حتَّى إذا لم يَرَ فيهنَّ خللًا، تقدَّم فَكَبَّر وربَّما قرأ سورة يُوسُفَ أوِ النَّحْلَ أو نحو ذلك في الرَّكْعَةِ الأولى حتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ فما هو إلَّا أن كبَّر فسمعته يقولُ: قتلني أوْ أكلني الكلبُ، حين طعنه فطار العلج بسكينٍ ذاتِ طَرفين لا يمُرُّ على أحد يمينًا ولا شمالًا إلَّا طعنه حتَّى طعن ثلاثةَ عَشَرَ رجلًا، مات منهم سبعةٌ فلمَّا رأى ذلك رجُلٌ من المسلمين طرح عليه بُرْنُسًا فلمَّا ظَنَّ العلْجُ أنَّه مأخوذٌ نحر نفسه وتناول عمر يد عبد الرحمٰن بنِ عوف فقدَّمه فمن يلي عمر فقد رأى الَّذي أرى وأمَّا نواحي المسجد، فإنَّهُم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عُمرَ وهُمْ يقولونَ: سُبْحَان اللهِ سُبحان اللهِ فصلَّى بهم عبد الرحمٰنِ صلاةً خفيفةً فلمَّا انصرفوا قال: يا ابن عباسٍ انظر من قتلني، فجالَ ساعة ثمَّ جاء فقال: غُلامُ المُغِيرَةِ، قال: الصَّنَعُ[١]، قال: نَعَمْ، قال: قاتَلَهُ اللهُ! لَقَدْ أمَرْتُ بِهِ مَعْرُوفًا، الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مِيتَتِي بِيَدِ رَجُلٍ يدَّعي الإسْلامَ قَدْ كُنْتَ أنْتَ وأبُوكَ تُحِبَّانِ أن تكثر العُلُوجُ بالمدينةِ وكان أكثرهم رقيقًا، فقال: إنْ شئت فعلت؛ أي: إن شئت قتلنا، قال: كذبت بعد ما تكلَّمُوا بلسانكم وصلَّوا قبلتكم وحجُّوا حجَّكُم فاحتُمِلَ إلى بيته، فانطلقنا معه وكأنَّ النَّاس لم تصبهم مصيبةٌ قبلَ يومِئذٍ فقائلٌ يقول: لا بأس، وقائلٌ يقولُ: أخافُ عليه، فأُتِيَ بنبيذٍ فشربه، فخرج من جوفه، ثمَّ أُتِيَ بِلَبَنٍ فشربه، فخرج من جُرْحِهِ فَعَلموا أنَّه مَيِّتٌ، فدخلنا عليه وجاء النَّاسُ يثنون عليه وجاء رجلٌ شابٌّ فقال: أبشر يا أمير المؤمنين بِبُشرى اللهِ لك؛ من صُحْبَةِ رسولِ اللهِ ﷺ وَقَدَمٍ في الإسلام ما قد عَلِمْتَ،

(١) **الصَّنَع** بفتحتين: الصانع. وقد كان نجّارًا وحدّادًا ونَحّاتًا للأحجار.

ثم وليت فعدلت، ثم شهادةً، قال: وددت أن ذلك كفافٌ لا عليَّ ولا لي، فلمَّا أدبر إذا إزاره يمسُّ الأرض، قال: رُدُّوا عليَّ الغُلام، قال ابنَ أخي: ٱرفع ثوبك، فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك، يا عبدَ الله بنَ عُمَر انظر ما عليَّ مِنَ الدَّيْنِ، فحَسَبُوه فوجدوه ستَّةً وثمانين ألفًا أو نحوَهُ قال: إن وَفَى له مالُ آلِ عمر فأدِّهِ من أموالهم وإلَّا فسل في بني عديّ بنِ كعبٍ، فإن لم تَفِ أموالهم فسل في قريشٍ ولا تَعْدُهُمْ إلى غيرهم، فأدِّ عَنّي هذا المال، انطلقْ إلى عائشةَ أمِّ المؤمنين، فقل: يقرأُ عليكِ عُمَرُ السَّلامَ، ولا تقل أمير المؤمنين؛ فإني لست اليوم للمؤمنين أميرًا، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلَّم واستأذن ثمَّ دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأُ عليك عمرُ بنُ الخطَّاب السَّلامَ، ويستأذنُ أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأُوثرنَّ به اليوم على نفسي، فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء قال: ارفعوني فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك، قال: الذي تُحبُّ يا أمير المؤمنين؛ أذنت، قال: الحمدُ لله، ما كان من شيءٍ أهمَّ إليَّ من ذلك، فإذا قَضَيْتُ فاحملوني، ثمَّ سَلِّمْ فَقُلْ يستأذنُ عُمَرُ بن الخطَّاب، فإن أذنت لي فأدخلوني، وإنْ ردَّتْني رُدُّوني إلى مقابر المسلمين، وجاءت أُمُّ المؤمنين حفصةُ والنِّساءُ تَسير معها، فلمَّا رأيناها قمنا، فولجت عليه فبكت عنده ساعة واستأذن الرجال فولجت داخلًا لهم فسمعنا بكاءها من الداخل فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين استخلف، قال: ما أجد أحقَّ بهذا الأمر من هؤلاء النَّفَر أَوِ الرَّهْطِ الَّذين تُوُفِّي رسولُ الله ﷺ وهو عَنْهُم راضٍ فسمَّى عليًّا وعثمانَ والزُّبَيْرَ وطلحةَ وسَعْدًا وعبدَ الرَّحمٰن، وقال: يَشهدكم عبد الله بنُ عُمَرَ وليس له من الأمر شيءٌ كهيئةِ التَّعْزيةِ له، فإن أصابت الإمْرةُ سعدًا فهو ذاك، وإلَّا فليستعن به أيُّكم ما أُمِّرَ، فإني لم أعزله عن عجزٍ ولا خيانة، وقال: أُوصي الخليفةَ مِن بعدي بالمهاجرينَ الأوَّلينَ؛

أن يَعِرفَ لهم حَقَّهُم ويحفَظَ لهم حُرمتَهم، وأُوصيه بالأنصار خيرًا؛ الَّذِين تبوَّؤا الدَّارَ والإيمانَ من قبلهم أن يُقبل من محسنهم، وأن يُعفى عن مسيئهم، وأُوصيه بأهل الأمصار خيرًا؛ فإنهم رِدْءُ الإسلام، وجباة المال وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلَّا فضلُهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيرًا، فإنهم أصل العرب، ومادَّة الإسلام؛ أن يؤخذ من حواشي أموالهم، ويُرَدَّ على فقرائهم، وأوصيه بذمَّة اللهِ وذمَّة رسولِهِ ﷺ؛ أن يُوفَى لهم بعهدهم، وأن يُقاتَل مِنْ ورائهم ولا يُكلَّفوا إلَّا طاقَتَهُم، فلمَّا قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلَّم عبد الله بنُ عمرُ قال: يستأذن عمر بن الخطَّاب قالت: أدخلوه، فأُدْخِلَ، فَوُضِعَ هُنالك مع صاحِبَيه. . .» وذكر الحديث.

زاد في حديث ابن عباس قال: «وُضع عمر على سريره فَتَكَنَّفَه الناس يَدْعون ويُصَلُّون قبل أن يُرفع وأنا فيهم، فلم يَرُعْنِي إلا رجلٌ آخِذٌ منكبي، فإذا عليٌّ، فترحَّم على عمر وقال: ما خلَّفتُ أحدًا أحبَّ إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منكَ، وايْمُ اللهِ إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيكَ، وحَسِبتُ أني كنتُ كثيرًا أسمعُ النبي ﷺ يقول: **(ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ)**.

• رواه البخاري.

وبهذا الإسناد وغيره نروي الصحيح سماعًا من فاتحته إلى خاتمته.

* * *

فيه مسائِلُ:

الأولـــى: فضيلة أمير المؤمنين عُمَرُ رضي الله عنه من وجوه كثيرة؛ **منها**:

ـ الأول: إجماع الصحابة وآلِ البيتِ على تقديمه على جميع الصحابة بعد أبي بكرٍ.

ـ الثاني: الحكم له بأنه قتل شهيدًا، ففيه عَلَمٌ من أعلام النبوة في أنه سيقتل شهيدًا.

ـ الثالث: دفنه بجانب النبي ﷺ وجانب أبي بكر، ولم تَدفِنِ الأمةُ معهم بعدهم أحدًا إلى اليوم.

ـ الرابع: الإشارة إلى خلافته بعد أبي بكر في قوله ﷺ: **(ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ...)**.

الثانية: في تكرار عمرَ طلبَ الاستئذانِ من عائشة سيما بعد مماته؛ في أن يدفن مع صاحبيه ـ: دليل على وَرَعِهِ وَعْدِلِه؛ فإنه لمّا استأذن في حياته خشي أن تكون إنما أذنت بقوة السلطان بخلاف حال الموت فلا نفوذ لأمره فيه؛ ولذا قال: «ولا تقل: أميرُ المؤمنين...» فمن نظر إلى دقة هذه الأمور من الورع والعدل كيف يظلم آل البيت أو يؤذيهم كما زعمت الباطنية.

الثالثة: فيه دليلٌ على أن مَن قُتل مظلومًا فهو شهيد، وقد رُوِّينا في «الموطأ» أن عمر كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ وَوَفَاةً فِي بَلَدِ رَسُولِكَ»، قال الباجِيُّ: «أجمع المسلمون على أن هذا الدعاء مستجاب، وأنه رضي الله عنه شهيد، وهذا يقتضي أن من قُتل على هذا الوجه ـ وإن لم يُقتل في حرب ولا مُدافَعَةٍ ـ فإنه شهيد»... اهـ.

بل إن النبي ﷺ قد صرّح بأن عمر شهيد؛ كما في البخاري عن أنس أن النبي ﷺ صعد أُحُدًا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال: **(اثْبُتْ أُحُدُ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ)**. وكان كعب الأحبار ـ كما في رواية ابن سعد ـ قد دخل على عمر فقال: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧] قد أنبأتك أنك شهيدٌ، فقلتَ: «مِنْ أَيْنَ لِي بِالشَّهَادَةِ وَأَنَا فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ؟!».

وعنده عن أبي موسى الأشعري قال: «رأى عوف بن مالك أن الناس جُمِعُوا في صعيد واحد، فإذا رجل قد علا الناسَ بثلاثة أذرع، قلت: من هذا؟ قال: عمر بن الخطاب. قلت: بم يعلوهم؟ قال: إن فيه ثلاث خصال: لا يخاف في الله لومةَ لائمٍ، وإنه شهيدٌ مستشهد، وخليفة مستخلَفٌ، فأتى عوفٌ أبا بكر فحدّثه فبعث إلى عمر فبشره، فقال أبو بكر: قص رؤياك، قال: فلما قال: خليفة مستخلف، انتهره عمر فأسكته، فلما ولي عمر انطلق إلى الشام فبينما هو يخطب إذ رأى عوف بن مالك فدعاه فصعد معه المنبر فقال: اقصص رؤياك. فقصّها، فقال: أمَّا أَلَّا أخاف في الله لومة لائم، فأرجو أن يجعلني الله فيهم، وأما خليفة مستخلف فقد استخلفت، فأسأل الله أن يعينني على ما ولاني، وأما شهيد مستشهد، فأنَّى لِيَ الشهادةُ وأنا بين ظَهرانَيْ جزيرة العرب، لست أغزو الناس حولي؟! ثم قال: ويلي ويلي! يأتي بها الله إن شاء الله».

وللبخاري عن عروة بن الزبير قال: لما سقط عليهم الحائط في زمان الوليد بن عبد الملك أخذوا في بنائه، فبدتْ لهم قَدَمٌ؛ ففزعوا وظنوا أنها قدم النبي ﷺ فما وجدوا أحدًا يعلم ذلك حتى قال لهم عروة: لا والله ما هي قدم النبي ﷺ، ما هي إلا قدمُ عمرَ رضي الله عنه».

الرابعة: نصيحةُ عمرَ للأمة حتى في آخر رمق من حياته، واهتمامه بأمر الدين أكثر من اهتمامه بأمر نفسه.

الخامسة: شفقةُ عمرَ ورحمتُهُ بالمهاجرين والأنصار وأهل الأمصار والأعراب وبأهل الذمّة، ووصيته بالعدل فيهم.

السادسة: فيه أن مَنْ قَتَل عمر هو أبو لُؤلُؤَةَ المجوسيُّ وأنه لم يسجد لله سجدة، ولذا قال عمر في رواية الزهري ـ كما عند ابن سعد ـ: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ قَاتِلِي يُحَاجُّنِي عِنْدَ اللهِ بِسَجْدَةٍ سَجَدَهَا لَهُ قَطُّ،

مَا كَانَتِ العَرَبُ لِتَقْتُلَنِي»، وفي هذا دَلالةٌ على أنه كان يعرف أنها كانت مؤامرة، وقد بسط رِواياتِهَا جماعةٌ منَ الحُفَّاظِ؛ كابن شَبَّةَ في «تاريخ المدينة» وابن سعد في «الطبقات»، فمن رضي بمقتل عمر أو أحب قاتله أو عظّمه فهو من جنس المجوس، وتأمل خزي الله للمجوس كيف يعظمون قاتلًا سافكًا للدم في الأشهر الحرم، ويُكفِّرون إمامًا للمسلمين فتح المشرق والمغرب، ويَسُبُّونه مع أنه قُتل وهو قائم يصلي في المحراب، يتلو كتابَ الله، وفي بيت من بيوت الله، بل في الحرم، بل في مقام رسول الله ﷺ الشريف، فنعوذ بالله من الخذلان!

السابعة: قال الحافظ في «الفتح»: في رواية مبارك بن فَضَالَةَ: «قال الحسن البصري ـ وذكر له فعل عمر عند موته وخشيته من ربه ـ فقال: هَكَذَا المُؤْمِنُ جَمَعَ إِحْسَانًا وَشَفَقَةً، وَالمُنَافِقُ جَمَعَ إِسَاءَةً وَعِزَّةً...»اهـ مختصرًا.

الثامنة: قول عائشة: «وَلَأُوثِرَنَّ بِهِ اليَوْمَ عَلَى نَفْسِي»: فيه دليل لمن قال بأن قاعدة «**لا إيثار في القُرَب**» ليس على إطلاقها، والظاهر والله أعلم أنه يراعى في مثل ذلك المصلحة، على أن ابن القيم في «المدارج» تأوله بأنه إيثار بمسكن شريف فاضل لمن هو أولى به، فالإيثار به قربة إلى الله ﷻ للمُؤْثِرِ.

التاسعة: فيه تفقُّدُ عمرَ للولاة، وحثُّهم أن لا يكلّفوا أهل الذمة ما لا يطيقون في الخراج والجزية.

العاشرة: فيه أن البلد إذا فتحت، فإن أرضها لا تدخل في قسمة الغنائم، بل هي مِلكٌ للمسلمين؛ يضرب على رقبتها خَرَاجٌ يُصرَفُ في مصالح الأمة.

الـحـادِيَـةَ عَـشْـرَةَ: قال الإمام النوويُّ في «شرح مسلم»: «أجمعوا على أن الخليفة إذا حضرته مقدِّماتُ الموتِ وقبل ذلك يجوز له الاستخلاف، ويجوز له تركه، فإنْ تَرَكَهُ فقد اقتدى بالنبي ﷺ في هذا، وإلا فقد اقتدى بأبي بكر، وأجمعوا على انعقاد الخلافة بالاستخلاف، وعلى انعقادها بعقد أهل الحَلِّ والعَقْدِ لإنسانٍ إذا لم يستخلف الخليفة، وأجمعوا على جواز جعل الخليفة الأمرَ شُورى بين جماعة؛ كما فعل عمر بالستة. اهـ.

الـثـانِـيَـةَ عَـشْـرَةَ: فإن قيل: فلِمَ اقتصر عمر على الستة أصحاب الشورى ولم يدخل سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل وهو مبشَّرٌ بالجنة وتوفي النبي ﷺ وهو راضٍ عنه؟:

فالجواب: أن هذا من عدله وورعه؛ فإن زيدًا ابنُ عمِّ أبيه وزوج أخته، فتركه؛ إبعادًا لشبهة القرابة، ولذا لما اقترح عليه رجل تولية ابنه عبد الله قال له: «قاتلك الله! والله ما أردتَ بهذا، أستخلف رجلًا ليس يحسن يطلق امرأته؟!» ومع هذا جبر خاطره فقال: «يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللهِ...».

الـثـالِـثَـةَ عَـشْـرَةَ: قوله: «أُوصِيهِ بِالأَعْرَابِ...»: فيه تنبيهٌ لأئمة المسلمين بأن الأعراب مستودَعٌ وذخيرةٌ للأمة، وهي وصية عظيمة؛ فإن من دقّق في حال الأعراب خلال تاريخ الإسلام، عرف أنهم أمداد لجيوشه، وحصنٌ مَنيعٌ لثغورِهِ، وفيهم من خصال الفطرة ومكارم الأخلاق ما هو معلوم مشهور.

الـرابِـعَـةَ عَـشْـرَةَ: وقع في «الاستيعاب» لابن عبد البر عن عمرِو بنِ ميمونَ أن أبا لؤلؤة نصرانيٌّ، وفي إسناده علي بن مجاهد وقد اتهمه يحيى بن معين بأنه كان يضع الحديث في المغازي.

قلت: وقد ظهر هذا هنا؛ فإنه لم يتابعه أحد، بَلِ الذي استفاضت به الرواياتُ أنه مجوسيٌّ مما سُبِيَ من بلاد فارس؛ كما في حديث ابن عمر عند ابن أبي عاصم في «الآحاد» والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وابن عساكر، وحسّنه الهيثمي، وعندهم كذلك عن ابن عباس، وعن عمرو بن ميمون عند ابن أبي شيبة، وعنده عن جماعة من التابعين عن عمر بسند صحيح، وعنِ الزهريِّ عند عبد الرزاق، وعن محمد بن عمرو بن علقمة عند ابن شَبَّةَ في «تاريخ المدينة».

الخامِسَةَ عَشْرَةَ: فيه دليلٌ لمن قال بأن خروج الدم من غير السبيلين لا يَنقُضُ الوضوءَ.

السادِسَةَ عَشْرَةَ: فيه أن مَن حَكَمَ عليه الشرعُ بالشهادة في غير الحرب، فإنه يُغَسَّلُ ويُصَلَّى عليه.

السابِعَةَ عَشْرَةَ: قوله: «كأن الناس لم تصبهم مصيبة...». فيه عِظَمُ فَقْدِ عُمَرَ عند المسلمين، وقد نقل أئمة السِّيَرِ وصف ذلك، ونقلوا كلام أئمة آل البيت وسادات الصحابة بما يحصل به العلم القطعي من عظيم محبتهم له، وإجلالهم لمكانته ومقامه في الإسلام.

الثامِنَةَ عَشْرَةَ: فيه تمنّي سيّد من أكابر سادات آل البيت وهو أمير المؤمنين عليٌّ أن يكون مثلَ عُمر رضي الله عنهما.

التاسِعَةَ عَشْرَةَ: فيه أن مِن حُسنِ سياسةِ وليِّ الأمرِ أن يقرِّبَ العلماءَ والحكماءَ ليكونوا خاصته.

العشرون: فيه أن تكاثر الكفار في بلاد المسلمين وجلبهم إليها ليس من علامات الخير، بل قد يكون مؤثرًا على منصب الحكم أكثر من غيره.

الحَدِيثُ الثالثُ

أخبرنا العلامة اللُّغَوِيُّ المعمَّر عبدُ الله بن عثمان العَلَايلي بقراءتي عليه ببيروت، عن محمد بن إبراهيم السَّمَالُوْطِي، عن محمد بن خليل القاوُقْجي، عن محمد بن أحمد البهي، عن المرتضى الزَّبيدي، عن عمر ابن عقيل السقّاف، عن عبد الله بن سالم البصري، عن أبي الحسن الطبري، عن الخطيب الحصّاري، عن الشمس الغَمْري، عن الحافظ ابن حجر قال: أخبرني أبو المعالي السُّعودي، أخبرنا أبو العباس الحلبي، أخبرنا النَّجيب الحَرَّاني، أخبرنا ابن أبي المجد، أخبرنا هبة الله بن الحُصَين، أخبرنا أبو علي المُذْهِب، أخبرنا أبو بكر القَطيعي، حدثنا عبد الله ابن الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، حدثنا أبي قال:

حدَّثنا هارون بن معروف ـ قال عبد الله: وسمعته أنا من هارون ابن معروف ـ حدثنا ضَمْرَةُ، حدثنا عبد الله بن شَوْذَب عن عبد الله بن القاسم عن كثيرٍ مولى عبد الرحمٰن بن سَمُرَةَ، عن عبد الرحمٰن بن سَمُرَةَ قال: جاء عثمان بن عفان إلى النبيِّ ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جَهَّز النبي ﷺ جيش العُسْرة، قال: فَصَبَّها في حَجْرِ النبيِّ ﷺ، فجعل النبي ﷺ يُقَلّبها بيده ويقول:

(مَا ضَرَّ ابْنَ عَفَّانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليومِ)، يردّدها مرارًا:

• هذا إسناد حسن، رواه الإمام أحمد، ورواه الترمذي عن ضمرة به نحوه وحسنه بلفظ: **(مَا ضَرَّ عُثْمَانَ...)**، وصححه غير واحد من الحفاظ، وله شواهد.

فيه مسائِلُ:

الأُولَـــى: فيه المنقبة العظيمة لأمير المؤمنين عثمان برضى الله عنه حتى الممات، وأنه لو أخطأ لا يؤاخذ بشيء من ذلك، قال الإمام أبو حفص ابن شاهين: «تفرَّد عثمان بن عفان بهذه الفضيلةِ لم يَشْرَكْهُ فيها أحد». اهـ.

الثـانـيـة: قوله: «يردّدها مرارًا»: فيه التأكيد الشديد على هذه الفضيلة، وقد كرّرها ﷺ لعلمه بأنه سيكون منافقون يكرهونه، بل يقتلونه؛ كما صح عن جماعة من الصحابة مرفوعًا: (**يَا عُثْمَانُ إِنَّ اللهَ عَسَى أَنْ يُلْبِسَكَ قَمِيصًا فَإِنْ أَرَادَكَ المُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ حَتَّى تَلْقَانِي. ثلاثًا**...).

الـثـالـثـة: فيه بُرهانٌ ظاهر على أنه ﷺ لم يُكرِه أحدًا على أخذ ماله مع أنه قد مرَّتْ بالأمةِ زمنَ النبوَّةِ أيامُ المَسْغبةِ والمَخْمَصَةِ، إلا أن الصحابة ﷺ كانوا يَهُبُّونَ للنجدةِ بأموالهم؛ كما تواترت عنهم الأخبار، حتى تصدق أبو بكر بجميع ماله، وعمرُ بنصفِهِ، وجَهَّزَ عثمانُ جيشَ العُسْرةِ كما هنا.

الـرابـعـة: **فإن قيل**: فما وجه عِظَمِ هذا الإنفاقِ مع أن غيره قد يَشْرَكُهُ في كثرة ما أنفق؟:

فالجواب: قال شيخ الإسلام ابنُ تيميَّةَ: «الإنفاق في سبيل الله وفي إقامة الدين في أول الإسلام أعظم من صدقة على سائل محتاج؛ ولذا قال النبي ﷺ: (**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**)، أخرجاه، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ﴾ [الحديد: ١٠]؛ فكذلك الإنفاق الذي صدر في

أول الإسلام في إقامة الدين ما بقي له نظير يساويه، وأما إعطاء السُّؤَّال لحاجتهم فهذا البر يوجد مثله إلى يوم القيامة».اهـ مختصرًا.

الخامسة: وقع اختصار في رواية هذا الخبر؛ فإنه حكى نفقة عثمان في جيش العسرة في غزوة تبوك، وقد تعددت بتفصيلها، وبَسَطَهَا غيرُ واحدٍ من الأئمة؛ فجاء في روايتنا هذه «ألف دينار». وفي بعضها: «حمل عثمان على ألف بعير وسبعين فرسًا في العسرة». وفي بعضها: «أنه جهّزهم بثلاثمائة بعير»، وفي بعضها أنه قال: «فَجَهَّزْتُهُمْ حَتَّى لَمْ يَفْقِدُوا عِقَالًا وَلَا خِطَامًا»، وكان هذا بعد أن قال النبي ﷺ: **(مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ، فَلَهُ الْجَنَّةُ)** فما أَعْظَمَهَا من مَأْثرةٍ له رضي الله عنه.

السادسة: الجهاد بالمال نظيرُ الجهاد بالنفْسِ؛ ولذا قُرِن به في الكتاب العزيز، وكثرته في سبيل الله دالَّةٌ على صدق العبودية لله، وقد علم سبحانه أن صَنيعَ عثمانَ لا يَصدرُ إلا من ساداتِ الأولياءِ؛ فناسب هذا العملَ العظيمَ الجزاءُ الأعظمُ.

السابعة: تجهيزُ الجيوشِ الإسلاميةِ لإعلاء كلمة الله من أعظمِ دعائمِ هذا الدينِ، ومن أعظم ما يغتنمه العبد لطلب رضوانِ الله، فانظر إلى عظم هذه المنقبة لعثمانَ، كيف هداه الله تعالى إليها؟! ثم كيف يسّر له أسبابها؟! ثم كيف أقدم عليها؟! وهو بهذا أولُ مسلمٍ في تاريخ الإسلام يجهّز جيشًا، وقد قطع بهذا الطريقَ على سائر من رام هذه المنقبة، فلا مطمع في قياسٍ على فعله، فإنه خصيصة إلٰهية، والناس بعده تَبَع، فمن أراد أن يساهم، فالله ذو الفضل العظيم.

الثامنة: فيه أن حسن تهيئة العالم للمتعلم إنما يظهر أيام العسرة والشدَّةِ، وكلما كانت التهيئةُ أقوى، كانت مواقف الرجال أَخْلَدَ.

التاسعة: فيه أهمية الواعظ في إحياء الأمة، ولا سيما إذا كان الوعظ من عالم حكيم، يعرف مواطن الأدواء ليضع المناسب من الدواء.

العاشرة: فيه ما كان عليه الصحابة ﭫ من المسارعة في الخيرات، ولا جرم فهم أسبق الخلق إلى تأويل القرآن؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ الآيات [آل عمران: ١٣٣]، وهم أولى الناس بالرسل عليهم الصلاة والسلام؛ كما في قول الله عنهم: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

الحادِيَةَ عَشْرَةَ: فيه أن من محاسن الأخلاق الثَّناءَ في الملأ على من قدّم للناس خيرًا؛ ولا سيما زمن المخمصة.

الثانِيَةَ عَشْرَةَ: فيه أن تعاضُدَ الإشارةِ والعبارةِ في الثناء على المحسنين مما يؤثر في النفوس.

الثالِثَةَ عَشْرَةَ: فيه أن المؤمنين لا بد أن يجري عليهم مِنَ البلاءِ والمحنة، والضيق والفتنة، ثم يجعل الله لهمُ العاقبةَ بالنصرِ والتمكينِ.

الرابِعَةَ عَشْرَةَ: فيه أن الذنوب فيها من الضرر والخطر ما تصير به وبالًا على أصحابِها، حاشا مَنْ سبقت لهم من الله الحسنى، جعلنا الله تعالى جميعًا منهم بِمَنّه ورحمته!

الخامِسَةَ عَشْرَةَ: فيه دليلٌ ظاهرٌ على أن لكلِ مرحلةٍ من مراحل الدعوة رجالًا يُسخِّرهم الله لها، وأن لكل محنة فرسانًا يحملون ألويتها.

السادِسَةَ عَشْرَةَ: فيه أن الأدب مع الإمام والعالم أنْ يُقَرَّب إليه ما طلبه ولا يباعد عنه؛ لئلا يُحْوِجَهُ إلى القيام له.

السابِعَةَ عَشْرَةَ: فيه أن الحاكمَ إذا نزلت بالمسلمين نازلةٌ أو حاجةٌ، فإن عليه أن يكون هو المباشِرَ لِحَثِّ الأمَّةِ على رَفعِها ودَفعِها.

الحَدِيثُ الرَّابِعُ

أخبرني الشيخ الصالح الشريف إدريس بن محمد بن جعفر الكَتَّانيُّ المالكيُّ قراءة عليه بِطَنْجَةَ، عن أبيه، عن جده، عن الوليد ابن العربي العراقي، عن حَمْدونَ بن الحاجِّ، عن أحمد بن المبارك السِّجِلْماسيِّ، عن أبي الحسن الحريشيِّ، عن عبد القادر الفاسيِّ، عن أبي العباس المَقَّرِيِّ، عن عمّه سعيد بن أحمد المَقَّريِّ مفتي تِلِمْسَانَ ستين سنة، عن محمد بن عبد الله التَّنَسِي عن والده، عن محمد بن محمد ابن مرزوق الحفيد، عن جده محمد بن أحمد بن مرزوق الخطيب، عن الحافظ محمد بن جابر الوادي آشي، عن والده، عن عَلَمِ الدينِ السخاويِّ، أخبرنا الإمام أبو القاسم بن فِيرُّهْ الشاطبي، أخبرنا علي ابن محمد بن هُذَيل، أخبرنا أبو داود سليمان بن نجاح، أخبرنا أبو العباس العُذْري، أخبرنا أبو العباس الرازي، أخبرنا محمد بن عيسى الجُلُودي، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان الزاهد، أخبرنا الإمام أبو الحجاج مسلم بن الحجاج القُشَيرِيُّ النيسابوريُّ قال:

حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عدي بن ثابت، عن زِرّ قال: قال عليّ: «وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ[١]

---

(١) **فَلَق الحبّة**: أي: شَقَّها بالنبات.
وبرأ النَّسَمة: أي: خَلَق النَّفْس.

إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ؛ أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضنِي إِلَّا مُنَافِقٌ».

• رواه مسلم.

* * *

فيه مسائِلُ:

الأُولــى: فيه المنقبة العظيمة لأمير المؤمنين عليٍّ ﵁ في أن حُبَّهُ إيمانٌ وبُغضَهُ نفاقٌ، قال الإمام أبو حفص بن شاهين: «تفردَ بهذه الفضيلةِ علي بن أبي طالب لم يَشْرَكْهُ فيها أحدٌ».

الثانية: فيه الحث الشديد على محبة عليٍّ والاقتداءِ به.

الثالثة: فيهِ الوعيدُ الشديدُ على مبغضِهِ، وأنَّ مَن أبغَضَهُ فهو منافقٌ.

الرابعة: فيه أن محبتَهُ منَ الإيمانِ، لكن يُشترطُ أن تكون المحبة صادقة خالصة؛ وذلك باتباع هَديهِ وسَمْتِهِ فيما صحَّتْ به الروايةُ عنه، أما الكذب عليه واتخاذُ ذلك دِينًا، فهذا في الحقيقة بُغْضٌ له، وهذا هو النفاق.

الخامسة: قال الحافظ أبو نُعيم الأصْبَهانيُّ في «الإمامة»: «فإنِ احتُجَّ بقوله لعليٍّ: (**إِنَّهُ لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ**) قلنا: هكذا نقول، وهذا من أشهر الفضائل وأبين المناقب، ولو أوجب هذا الخبر الخلافة، لوَجَبَتْ إذًا الخلافةُ للأنصارِ؛ لأنه قال مثلَهُ في الأنصارِ: (**لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ**)». اهـ مختصرًا.

السادسة: قد رُوِيَ لعليٍّ ﵁ من المناقب كثيرٌ، غير أن مناقب الأئمة الثلاثة قبله أكثر وأصح، وقد أجمع الصحابة على تقديم الأئمة

الثلاثة عليه في الفضل؛ كما روى البخاري عن ابن عمر قال: «كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَعدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ»؛ بل روى البخاري عن محمد ابن علي بن أبي طالب ـ المعروف بمحمد ابن الحَنَفِيَّةِ ـ قال: «قلت لأبي: أيُّ الناس خَيْرٌ بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أَبُو بَكْرٍ. قلت: ثُمَّ مَنْ؟ قال: ثُمَّ عُمَرُ، وخَشِيتُ أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «المنهاج»: «وقول من قال: «صح لعلي من الفضائل ما لم يصح لغيره»: كذبٌ، لا يقوله أحمد ولا غيره من أئمة الحديث، لكن قد يقال: «روي له ما لم يُرْوَ لغيره» لكن أكثر ذلك مِنْ نَقْل مَنْ عُلِمَ كَذِبُهُ أو خطؤه»... اهـ.

وقال أيضًا: «أحمد بن حنبل لم يقل: «إنه صح لعليّ مِنَ الفضائلِ ما لم يصحَّ لغيرِهِ»، بل أحمد أَجَلُّ من أن يقول مثل هذا الكذب؛ بل نقل عنه أنه قال: «روي له ما لم يرو لغيره» مع أن في نقل هذا عن أحمد كلامًا ليس هذا موضعه». اهـ.

السابعة: فيه أن وليَّ الأمرِ إذا اختلف الناس عليه، فعليه أن يذكرهم بفضله وسيرته، ولا يعد هذا من تزكية النفس ولا المنّة، بل هو من الحفاظ على الأمة.

الثامنة: فيه عَلَمٌ من أعلامِ النبوَّةِ؛ فإن عَلِيًّا قد أبغضه الناس بعد زمن النبوة وخرجوا عليه؛ فكان هذا الخبر العظيم فيه تحذيرٌ لهؤلاء ومن سلك سبيلهم، نعوذ بالله من النفاق!

التاسعة: **فإن قيل**: فما وجه ربطِ محبةِ عليّ رضي الله عنه بالإيمان وبغضه بالنفاق؟:

فالجواب: أنه قد حصل به من القيام بأمر الدين ونصرته وإعزازه على يديه، وتكاثُرِ خصالِ الخَيْرِ ومكارمِ الأخلاقِ فيه ـ: ما هو معلوم في كتب السنن والآثار، فإذا أحبه شخص لهذا، فإنما يحبه؛ لما قام به من الدين، فهذا من علامات الإيمان، وإذا أبغضه شخص على هذا، فإنما يبغضه لأمر الدين.

وهذا القدر موجود في أصحاب النبي ﷺ، فهو من باب الإشارة إلى بعض أفراد الجنس؛ كما يدل على ذلك قوله ﷺ في الأنصار ـ كما في «الصحيحين» ـ: **(لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ)**.

فإن قيل: فما وجه تخصيصه ﷺ عَلِيًّا من دون سائر الصحابة بذلك؟:

فالجواب: ـ والله أعلم ـ هو علمه ﷺ باختلاف بعض الناس عليه في خلافته، وقد أخبره بتفاصيل ذلك، حتى أخبره بأن من علامتهم ذا الثُّدَيَّة، فأشار إلى كون الحق والدين مع عليّ بالتصريح بذلك والتنبيه إليه.

العاشرة: **فإن قيل**: فقوله: «ولا يبغضني إلا منافق» يدخل فيه الصحابة الذين قاتلوه يوم الجَمَل؟:

فالجواب: أنهم رضي الله عنهم جميعًا كانوا مجتهدين متأوِّلِينَ أرادوا الحق، وأصول الشريعة تقضي بأن المتأول لا يؤاخذ؛ كما في «الصحيحين» في قصة الرجل الذي قال: «**إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي**...» ولذا كان المستِقُّر عند أهل السُّنة هو السكوتَ عمَّا شَجَرَ بين الصحابة؛ لأنهم كانوا مجتهدين متأوِّلِينَ، وإلا فإنّ مِنَ الذينَ حاربوه يوم الجَمَلِ قد كانوا من الأنصار، الذين قال فيهم النبيُّ ﷺ: **(لَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ)**

وقال ـ كما في البخاري ـ لبُرَيْدَةَ: (**يا بُرَيْدَةُ أَتُبْغِضُ عَلِيًّا؟** فقلتُ: نعم. قال: **لَا تُبْغِضْهُ**...) ولم يكفِّر ﷺ بريدة، ولا أمر عَلِيًّا بشتمه فضلًا عن قتله؛ فدل على أن المقصود ليس هو مُطلَقَ البُغضِ الذي تُسَبِّبُهُ الخُصوماتُ، بل البغض المطلق الذي يسببه النفاق المبغض لقيام الدين وانتشار الإسلام وارتفاع راياته في المشرق والمغرب.

الحادِيَةَ عَشْرَةَ: فيه أن العالم لا يحلف إلا في أمر عظيم.

الثانِيَةَ عَشْرَةَ: فيه أن على الإمام أن يعهد بالأمور العظام لمن هو أهل لتحمل هذا العهد.

الثالِثَةَ عَشْرَةَ: فيه أن على آلِ البيتِ أن يذكروا فضائلهم إذا رأوا من بعض الناس جَفَاءً، لِئَلَّا يقعَ هؤلاء الجُفاةُ في مخالفةِ الوصيَّةِ النبوية.

الرابِعَةَ عَشْرَةَ: فيه مشروعيةُ الحَلِفِ على الحقِّ لتأكيد صحته.

الخامِسَةَ عَشْرَةَ: فيه أن الرجل إذا احتاج إلى ذكر فضله على غيره في استحقاقٍ جاز ذلك بلا كراهة.

السادِسَةَ عَشْرَةَ: فيه دَلالةٌ على استحالةِ أن تكون الباطنيةُ ممن يحبه؛ لقوله: (**أَنْ لَا يُحِبَّنِيْ إِلَّا مُؤْمِنٌ**)؛ فبقي أن يكون هؤلاء الباطنيةُ أهلَ نفاقٍ وكَذِبٍ في دعوى حُبِّهِ.





الحَدِيثُ الخَامِسُ

أخبرني الشيخُ المعمَّرُ محمد زكي بن إبراهيم البُولاقيُّ الحنفي قراءة عليه بالقاهرة عن محمد بن عبد الله العقوري، عن الأمير الصغير، عن والده الأمير الكبير، أخبرنا علي بن أحمد الصعيدي، عن الشمس ابن عَقِيلة، أخبرنا العجيمي بإسناده[١] إلى الإمام البخاري قال:

حدثني عباس بن الحسين، حدثنا يحيى بن آدم، عن إسرائيلَ، عن أبي إسحاقَ، عن صِلَةَ بنِ زُفَر، عن حذيفة قال:

جاء العاقبُ والسَّيِّدُ صاحبا نَجْرانَ إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يُلاعِنَاهُ[٢]، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعلْ: فواللهِ لئن كان نبيًّا فلاعَنّا لا نُفْلحُ نحن ولا عَقِبُنا من بعدنا. قالا: إنّا نعطيكَ ما سألتَنا. وابعث معنا رجلًا أمينًا، ولا تبعث معنا إلا أمينًا. فقال: **(لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ)**، فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: **(قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ)**، فلما قام، قال رسول الله ﷺ: **(هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ)**.

• رواه البخاري. ورواه مسلم عن أبي إسحاق به مختصرًا.

(١) في الحديث الثاني.
(٢) **المراد باللعن هنا**: المباهلة.

فيه مسائِلُ:

الأولــى: فيه المنقبة العظيمة لأبي عُبَيْدَةَ ﵁؛ باختصاصه بأنه أمين هذه الأمة، قال الإمام أبو حفص بن شاهين: «تفرَّدَ بهذه الفضيلة أبو عبيدة بنُ الجراح».

الثانية: فيه إجماعُ الصحابة على شَرَف هذه المنقبة حتى استشرفوا لها، مع أن السنن والآثار عنهم متواترة في كراهة طلب الولايات، بل روى الإمام أحمد وابن أبي شيبة أن أبا بكر قال لأبي عبيدة بعد وفاة النبي ﷺ: «هَلُمَّ أُبَايِعْكَ؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إِنَّكَ أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ)**، فقال: ما كنت لأفعل، أصلي بين يدي رجل أمره رسول الله فأمّنا حتى قبض»؟!، وفي البخاري: أن أبا بكر قال للصحابة يوم السقيفة: «بَايِعُوا عُمَرَ أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ». وفي «المستدرك» لأبي عبد الله الحاكم أن عمر قال: «لَوْ أَدْرَكْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ بْن الجَرَّاحِ لَاسْتَخْلَفْتُهُ وَمَا شَاوَرْتُ، فَإِنْ سُئِلْتُ عَنْهُ قَلْتُ: أَسْتَخْلِفُ أَمِينَ اللهِ وَأَمِينَ رَسُولِ اللهِ ﷺ».

وروى مسلم عن عائشة ﵂ أنها لمّا سُئلت: من كان رسول الله ﷺ مستخلِفًا لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر. فقيل لها: ثم من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر. ثم قيل لها: مَنْ بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح. ثم انتهت إلى هذا؟».

الثالثة: فيه أن على الأمة إذا عاملتْ غيرها من الأمم أن تبعث أصدق رجالها، وأكثرَهم أمانةً، وأعدلَهم قِسمةً، وأعلمَهم بطرائقِ معاملةِ الخلق، وقد اجتمعنَ في أبي عبيدة ﵁، ولا غرو حين يقول عمر ﵁ لجلسائه: تَمَنَّوْا. فَتَمَنَّوْا، فقال عمر: «لَكِنِّي أَتَمَنَّى بَيْتًا مُمْتَلِئًا رِجَالًا مِثْلَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاحِ».

الرابعة: **فإن قيل**: فلِمَ خصَّ النبيُّ ﷺ أبا عبيدة بالإمانة مع أن غيره من الصحابة كذلك؟:

فالجواب: ما أشار إليه جماعةٌ من الأئمَّةِ؛ كالنوويِّ من أنه اختص بهذه الصفة أكثرَ من غيرِهِ حتى غلبت عليه.

الخامسة: فيه جوازُ الاستشرافِ في الفضائلِ إذا كان مقصود المستشرِف صالحًا. وقد كان هذا مقصودَ الصحابةِ، وليس مقصودُهُمُ الولايةَ؛ كما يدل عليه قول عمر في رواية لأبي يعلى ـ كما قال الحافظ في «الفتح» ـ من طريق سالم عن أبيه قال: سمعت عمر يقول: «مَا أَحْبَبْتُ الإِمَارَةَ قَطُّ إِلَّا مَرَّةً واحِدَةً»، فذكر القصة وقال: «فَتَعَرَّضتُّ أَنْ تُصِيبَنِي، فَقَالَ: قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ».

السادسة: فيه الثناءُ على صاحب الأمانةِ؛ فإن الأمانة من أشرف أخلاق الرجال، ورعايتها والثناء على أهلها من غرسها ونشرها في الناس وهي مجمع للفضائل، وكلما ضعفت رعاية أنواعها، كثر الشَّرُّ في الخلق، وصارت القيامةُ قريبًا؛ كما في «الصحيح»: (**إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**).

السابعة: فيه أنه إذا احتيج إلى المباهلة، فينبغي أن لا يباهل إلا من يكون من صالحي آل البيت، أو أكابر أهل العلم.

الثامنة: قال الحافظ في «الفتح»: مما عرف بالتجربة أن مَن باهل وكان مبطلًا لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة، ووقع لي مع شخص كان يتعصب لبعض المَلَاحدةِ، فلم يقم بعدها غير شهرين.

التاسعة: فيه أن المُصالحةَ والجِزيةَ على ما يراه الإمام على التحقيق، وله أن يضرب على كل قوم ما يراه مناسبًا في الحال والمآل من أصناف المال.

العاشرة: فيه اتخاذُ الإمامِ السفراءَ، وأن يكونوا موضعَ الثقةِ التامَّةِ منه.

الحادية عشر: فيه أن الأُمَّةَ كلما قويت في أمر الدعوة إلى هذا الدين، فإنها تكون في مقام الصدر بين الأمم، حتى تخضع لها جميع شعوب الأرض، وكلما ضعفت، كان وَهَنُها بين الأمم على قدر وَهَنِهَا.





الحَدِيثُ السَّادِسُ

أخبرني الفقيه المعمَّرُ السَّيِّدُ أحمدُ مشهور الحدّاد الشافعي قراءة عليه وإجازة ببيته في جُدَّةَ، عن أحمد الشريف بن محمد بن محمد بن علي السنوسي، عن أبيه، عن جده، عن حمدون بن الحاج بإسناده إلى الحافظ ابن جابر الوادي آشي(١) قال:

أخبرنا رضي الدين الطبري، أخبرنا الشرف محمد بن عبد الله السُّلمي الأندلسيُّ الشافعيُّ، أخبرنا عبدُ المُعِزّ بنُ محمد الهَرَويُّ، أخبرنا أبو القاسم الجُرْجاني، أخبرنا أبو الحسن البَحّاثي، أخبرنا أبو الحسن الزَّوْزَني، أخبرنا الإمام أبو حاتم محمد بن حِبّان التميمي البُسْتي قال:

أخبرنا محمد بن إسحاق، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا بكر ابن مُضَر، عن صخر بن عبد الله، عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول:

(إنّ أَمْرَكُنَّ لَمِمَّا يُهِمُّنِي بَعْدِي، وَلَنْ يَصْبِرَ عَلَيْكُنَّ بَعْدِي إِلَّا الصَّابِرُ).

قال: ثم تقول: **(فَسَقَى اللهُ أَبَاكَ مِنْ سَلْسَبِيلِ الْجَنَّةِ؛ تُرِيدُ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بْنَ عَوْفٍ؛ وَكَانَ قَدْ وَصَلَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَالٍ بِيعَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا)**:

(١) في الحديث الرابع.

• هذا إسناد جيد، رُوِّيناهُ في الصحيح لابن حبان. وصححه جماعة من الحفاظ، وله شواهد.

وفي لفظ الإمام أحمد: (**لَا يَحْنُو عَلَيْكُنَّ بَعْدِي إِلَّا الصَّابِرُونَ**) وله كذلك: (**أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ**)، وفي رواية أبي سلمة عند الترمذي أن عبد الرحمٰن بنَ عوفٍ أَوْصَى بحديقةٍ لأمهاتِ المؤمنينَ بِيعَتْ بأربعمائة ألف».

* * *

فيه مسائِلُ:

الأُولــى: فيه المنقبةُ العظيمةُ لعبدِ الرحمٰنِ ﵁؛ حيثُ جَعَلَهُ النبيُّ ﷺ منَ الصابرينَ؛ الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

الثانية: وفيه منقبة أخرى له؛ حيث كَفَى النبيَّ ﷺ ما أَهَمَّهُ؛ برعاية نسائه والعناية بِهِنَّ.

الثالثة: وفيه فضيلة له كذلك في تَحْنانه على آل بيت النبي ﷺ وأمهات المؤمنين، وإيثارِهِنَّ بأموالِ طائفةٍ تصعُبُ على كثير من النفوس، وهذا دالٌّ على صدق إيمانِهِ.

الرابعة: **فإن قيل**: فلأيِّ مَعْنًى أثنى النبي ﷺ على عبد الرحمٰن ابن عوف بأنه من الصابرين مع أن غيره قد يَشْرَكُهُ في ذلك؟:

فالجواب: ـ والله أعلم ـ أنه جمع ﵁ في وصله لهن الدوام في الإنفاق مع الكثرة، وهذه خصيصةٌ تفرَّدَ بها، والآثار المنقولة عنه في ذلك كثيرة؛ منها ما أوردناه، حتى إنه أوصى لهن بعد موته بحديقة بيعت بأربعمائة ألف، **والعبادةُ إذا كَثُرتْ وَتَتابَعَتْ فلا يَصبرُ عليها إلا الصادقُ**

البارُّ؛ كما قال الله تعالى عن الصلاة: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥] وجنس إنفاق المال قرين الصلاة في كتاب الله ﷻ.

الخامسة: فيه عَلَمٌ من أَعلامِ النبوَّةِ؛ حيث أخبر ﷺ عمن سيقوم بشأن أزواجه أمهات المؤمنين من بعده، والثناء عليه، فكان عبدَ الرحمٰن بنَ عوف، فلو كان يهوديًّا أو نصرانيًّا أو مجوسيًّا وصنع هذا الصنيعَ الإنسانيَّ لأوجبتِ النخوةُ والمروءةُ السكوتَ عنه، وعدم التعرُّضِ له بِسَبٍّ أو أذًى، فكيف وقد لامست يده اليدَ الشريفةَ لرسولِ الله ﷺ؟! وتكحلت عينه برؤية أشرف الخلق، وبَذَل أعزَّ ما يملك نفسه التي بين جنبيه في الدفاع عن راية التوحيد؟!

السادسة: قولها: «مِنْ سَلْسَبِيلِ الجَنَّةِ» إشارة إلى قوله تعالى عن أهل الجنة: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٧، ١٨]، وهذا من ألطف الدعاء.

السابعة: قوله: **(يُهِمُّنِي بَعْدِي)**؛ أي: بعد وفاتي؛ لأنه ﷺ لم يترك ميراثًا، وفي هذا دَلالةٌ على أنه لا يُورثُ، ووكل أمر آل بيته ومنهم أزواجه إلى الله، ففي هذا دَلالةٌ على صدق عبوديتِهِنَّ، وصحة تَوَكُّلِهِنَّ، وسلامةِ دينهِنَّ، وإرادتِهِنَّ اللهَ ورسولَهُ والدارَ الآخرةَ.

الثامنة: فيه محبةُ الله تعالى لأزواج النبي ﷺ أمهاتِ المؤمنينَ؛ حيثُ شرع لرسوله ﷺ عدم توريثِهِنَّ، مع عِلمِهِ سبحانه بِهَمِّ رسولِهِ وانشغالِ بالِهِ بأزواجِهِ، وأنه سيموت عنهن على هذه الحال، وهذا يدل على أن الرب تبارك وتعالى هو الذي تولّى رعايتهن والعنايةَ بِهِنَّ.

التاسعة: فيه محبةُ النبيِّ ﷺ لأزواجِهِ أمهاتِ المؤمنينَ حتى بعدَ

وفاته، والوصية بهن وأنه لا يُنَفِّذُ وصيَّتَهُ في ذلك إلا صابرٌ صادقٌ بَرٌّ رحيمٌ، فما أقبحَ مَن خَذَلَ رسولَ الله ﷺ بعد وفاته واعتدَى على وصيتِهِ.

العاشرة: هذا الحديثُ يدلُ على نكارة ما روي في المسند وغيره أن عائشة سمعت صوتًا في المدينة فقالت: ما هذا؟ قالوا: عيرٌ لعبد الرحمٰن بن عَوْفٍ قَدِمَتْ مِنَ الشام تحمل مِن كُلِّ شيءٍ. قال: فكانت سَبْعَ مِائة بعيرٍ. فارتجَّتِ المدينةُ منَ الصوتِ. فقالت عائشة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**قَدْ رَأَيْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ يَدْخُلُ الجَنَّةَ حَبْوًا**) فبلغ ذلك عَبْدَ الرحمٰن بنَ عوفٍ فقالَ: «إِنِ اسْتَطَعْتُ لَأَدْخُلَنَّهَا قَائِمًا؛ فَجَعَلَهَا بِأَقْتَابِهَا وَأَحْمَالِهَا فِي سَبيلِ اللهِ ﷻ».

قال الإمام أحمد: هذا الحديث كذب منكر.اهـ.

وقد وهَّاهُ الحُفَّاظُ؛ كابنِ الجَوْزِيِّ والمنذريِّ وشيخِ الإسلامِ ابن تيميَّةَ وابنِ القيمِ والعراقيِّ والذهبيِّ وابنِ كثيرٍ والهيثميِّ وابن حجرٍ والسيوطيِّ والشوكانيِّ، وقبلهمُ الإمامُ أبو عبد الرحمٰن النسائيُّ.

وما أحسن قولَ الحافظِ ابنِ حجرٍ في «القول المسدد» قال: والذي أراه: عدمُ التوسُّعِ في الكلام عليه، فإنه يكفينا شهادة الإمام أحمد بأنه كذب، وأولى محامله أن نقول هو من الأحاديث التي أمر الإمام أحمد أن يُضرب عليها، فإما أن يكون الضرب تُرك سهوًا، وإما أن يكون بعض من كتبه عن عبد الله كتب الحديث وأخلّ بالضرب.اهـ.

وإذا اعتَرَضَ معترِضٌ على عبد الرحمٰن بن عوف بدخوله الجنة حَبْوًا فلعبد الرحمٰن أن يتيه عليه ويفخر بأنه قد ضُمن له الجنة وهو من أهل بدر، وَحَسْبُهُ ذلك، فهل ضَمِنَ المعترِضُ لنفسه أن يدخل الجنة ولو زحفًا؟!

الـحـادِيَـةَ عَـشْـرَةَ: فيه جواز بَثِّ الهَمِّ للصالحينَ.

الـثـانِـيَـةَ عَـشْـرَةَ: فيه استحبابُ تطييبِ خاطرِ الداعيةِ لما يتوقع أن يلقاه من الشدائد؛ فإن هذا أجمَعُ لنفسِهِ، وأحفَظُ لِشَأنِهِ، وأسلمُ لقلبِهِ.

الـثـالِـثَـةَ عَـشْـرَةَ: فيه فضيلةُ أعمالِ القلوبِ، وشرفُها في منازل السائرين.



الحَدِيثُ السَّابِعُ

أخبرني الشيخ الصالح المعمَّرُ خالدُ بن حمزة الحَمُّوريُّ الشافعيُّ قراءةً وإذنًا بالغُوْطَة قُرْبَ دمشق، عن بدر الدين الحَسَني عن محمود الحمزاوي، عن الوجيه الكزبري، عن صالح الفُلّاني، عن محمد بن سِنَّة الفُلّاني، عن الشريف الولاتي، عن ابن أَرْكْماش الحنفي عن الحافظ ابن حجر قال:

أنبأنا أبو علي الفاضلي، عن يونس بن إبراهيم، عن ابن مكي، عن أبي القاسم بن بَشْكُوَال، أخبرنا عبد الرحمٰن بن محمد بن عَتّاب، أخبرنا الحافظ أبو عمر بن عبد البر، أخبرنا أبو عمر الباجي، عن أبيه، عن عبد الله بن يونس القبري، عن بقي بن مخلد، عن الحافظ أبي بكر ابن أبي شيبة العبسي قال:

حدَّثنا عبد الرحيم، عن هشام بن عروة، عن عروة أن رسول الله ﷺ قال يوم الخندق:

(مَنْ رَجُلٌ يَذْهَبُ فَيَأْتِينِي بِخَبَرِ بَنِي قُرَيْظَةَ؟!)، فركب الزبير فجاء بخبرهم، ثم عاد فقال ثلاث مرات: **(مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِهِمْ؟!)** فقال الزبير: نعم. قال: وجمع للزبير أبويه فقال: **(فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي)**.

وقال للزبير:

(لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ[١]، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ وَابْنُ عَمَّتِي).

(١) **الحواريّ**: الناصر.

• هذا إسناد جيدٌ، وقع لنا هكذا في المصنَّف لابن أبي شيبة.

وهو موصولٌ عند أئمَّةِ الحفَّاظ وإن جاء في صورة المرسَل[١]، فقد رواه الشيخان وغيرهما عن عروة، عن أخيه عبد الله بن الزبير بمعناه؛ فإنه شهد الوقعة وهو صغير.

* * *

فيه مسائلُ:

الأُولـى: فيه المنقبةُ العظيمةُ للزبير بنِ العوَّام؛ باختصاصه بأنه حواريُّ رسولِ اللهِ ﷺ؛ ولهذا قال الإمام أبو حفص بن شاهين إنه تفرد بذلك ولم يَشْرَكْهُ فيها أحدٌ.

الثانية: وفيه كذلك منقبةٌ عظيمةٌ له إذ فدَّاهُ ﷺ بأبويه.

الثالثة: وفيه كذلك فضيلةٌ له؛ وذلك في قوة إيمانه وقلبه ويقينه، وصحة توكله وتفويضه.

الرابعة: وفيه سرعة استجابته لله ورسوله في أيام الكرب والجوع والخوف في أيام الخندق، وهذا ـ والله أعلم ـ هو سِرُّ الثناءِ عليه بهاتينِ المنقبتينِ.

الخامسة: **فإن قيل**: فما وجه تشبيه النبي ﷺ الزبير بالحواريِّ، مع أن الصحابة لهم نصيبٌ منَ النصرة مثله؟:

فالجوابُ: كما أشار إليه جماعة أن وقعة الخندق اجتَمَعَ العربُ على المسلمين ورَمَوْهُم عن قوسٍ واحدةٍ، وحاصروا المدينة حتى زاغت الأبصار وبلغتِ القلوبُ الحناجرَ، ومالأهُمُ اليهودُ والأعرابُ، فانتدبَ

(١) وسيأتي نظيره في البخاري كما في الحديث الثالث عشر.

النبيُّ ﷺ أصحابه ليأتوا بخبر بني قريظة، فأول من قام الزبير، فكان فيه شَبَه بما حصل في قصة الحواريِّ مع عيسى عليه السلام لما انتدب الحواريين؛ كما رواه النسائي في «الكبرى» عن ابن عباس بسند صحيح قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى عليه السلام إلى السماء، خرج على أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلًا ورأسه يقطر ماءً فقال: أيكم يُلقَى شَبَهِي عليه فيقتل مكاني فيكون معي في درجتي؟! فقام شاب من أحدَثِهم سِنًّا فقال: أنا. فقال: اجلس، ثم أعاد عليهم فقام الشاب. فقال: أنا. فقال: اجلس. ثم أعاد عليهم الثالثة. فقال الشاب: أنا. فقال عيسى عليه السلام: نعم أنت. فأُلقِيَ عليه شَبَهُ عيسَى عليه السلام، ثم رُفع عيسى من رَوْزَنَةٍ كانت في البيت إلى السماء، وجاء الطلب من اليهودِ فأخذوا الشابَّ للشَّبَه فقتلوه ثم صلبوه...».

السادسة: سُمِّي أنصارُ عيسى عليه السلام بالحواريين؛ لبياض ثيابهم؛ كما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس بإسناد صحيح.

قال ابنُ جريرٍ: ... فعُرِفوا بصحبة عيسى واختياره إياهم لنفسه أصحابًا وأنصارًا، فجرى ذلك الاسم لهم، واستعمل حتى صار كل خاصة للرجل من أصحابه وأنصاره «حَوَارِيَّهُ» ولذلك قال النبي ﷺ: **(إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ)**.

السابعة: قوله: **(وَابْنُ عَمَّتِي)**: فيه إشارة إلى الوصية بالزبير والافتخار به، وأنه من قرابته ﷺ، ولذا كانت عقوبةُ مَن خالَفَ هذه الوصيَّةَ فَقَتَلَه هي النار؛ كما شهد بذلك أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه في «المسند» وغيره، وأما مَنْ سبَّهُ، فله أوفر النصيب من قوله ﷺ في «الصحيحين»: **(لَعْنُ المُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ)**.

الثامنة: فيه جواز بعث الرجل وحدَهُ، وكذا سَيْرُهُ وحدَهُ.

التاسعة: فيه أن الإمام إذا بعث بعثًا فغنم الجيش دونهم، فإنهم معهم في الغنيمة؛ لأنه ﷺ بعث الزبير وسمَّاه ناصرًا.

العاشرة: فيه حكمة الإمام وقت الشدائد؛ إذ لا ينبغي له أن يُكْرِهَ الناسَ على المخاوفِ والشدائِد؛ فإنَّ النبيَّ ﷺ حَثَّ الناسَ ولم يُعيِّنْ؛ لأن هذا أبقى في اجتماع النفوس.

الحادية عَشْرَةَ: فيه الحثُّ على الاهتمامِ بأمرِ الخائنينَ داخلَ المجتمع المسلمِ؛ فإن النبيَّ ﷺ حثَّ على بعث طليعةٍ ينظر في شأن يهودِ بني قريظة ثلاثَ مرات، وذلك لرصد تحركاتهم وإعانتهم للأحزاب، وأبرز صفة للمنافقين والخونة هي ترك النصرة، والإعانة على أهل الإسلام، فإذا ظاهروا أعداء الله كان نفاقًا خالصًا، فإذا زادوا على ذلك بِسَبِّ مَن نَصَرَ الدينَ وقام بحمل الشريعة إلى العالمين، فقد فاقوا صنيع اليهود والمشركين.

الثانية عَشْرَةَ: فيه أن مِن أنفعِ ما يصنعُهُ الإمامُ لكشف المنافقين والخائنين هو الطليعةُ المأمونُ الفَطِنُ؛ وهو ما يسميه الفقهاء العينَ أو الجاسوسَ.

الثالثة عَشْرَةَ: فيه أن على الإمامِ أن يَتَّخِذَ في سياسةِ الرعيَّةِ الأكفاءَ مِنَ الرجالِ والشجعانِ والثقاتِ؛ فإنهم من أعظم ما يتخذه عُدَّةً لأعداءِ الأمَّةِ.



الحَدِيثُ الثَّامِنُ

أخبرني الفقيهُ المعمَّرُ السيِّدُ عبدُ الله بن عبد القادر الإنباريُّ الشافعيُّ والفقيهُ الصالحُ السيِّدُ سليمانُ بن محمد الأهدلُ بقراءتي عليه ومناولة الأول بزَبِيدَ قالا: أخبرنا محمد بن صدّيقٍ البطاحُ، أخبَرَنا محمدُ بن عبد الباقي بن الوجيه الأهدلُ، أخَبَرنا والدي، أخبرنا والدي الوجيه، أخبرنا والدي، أخبرنا أحمد بن محمد الأهدل، أخبرنا يحيى ابن عمر الأهدل، أخبرنا أبو بكر البطاحُ، أخبرني يوسفُ البطاحُ، أخبرنا الطاهرُ بن حسينٍ الأهدلُ، أخبرني ابن الدَّيْبَع، أخبرنا الشَّرَجيُّ، أخبرنا النَّفِيسُ العَلَويُّ، أخبرنا الموفَّقُ بن شدّادٍ، أخبَرَنا أحمدُ بنُ أبي الخير الشَّمَّاخيُّ، أخبَرَنا والدي، أخبَرَنا أبو بكر الشَّرَاحِيُّ: أخبَرَنا زاهرُ ابن رُسْتُم الأصبهانيُّ، أخبرنا أبو الفتح الكَرُّوخِيُّ، أخبرنا أبو بكر الغُورَجيُّ، أخبرنا أبو محمد الجَرَّاحيُّ، أخبرنا أبو العباس المحبوبيُّ، أخبرنا الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى السُّلَمِيُّ الترمذيُّ قال:

حدَّثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا يونس بن بكير، عن محمد ابن إسحاق، عن يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جده عبد الله بن الزبير، عن الزبير بن العوام قال:

كان على النبي ﷺ دِرْعانِ يَوْمَ أُحُدٍ، فنهض إلى الصخرة فلم يستطع، فَأَقْعَدَ طلحة تحتَه، فَصَعِد النبيُّ ﷺ عليه حتى استوى على الصخرة فقال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: **(أَوْجَبَ طَلْحَةُ)**:

• هذا إسناد جيد، رواه الترمذي وحسنه وصححه غير واحد من الحفاظ، ومحمد بن إسحاق صرّح بالسماع في السيرة له.

وبهذا الإسناد وغيره نروي جامع الترمذي سماعًا من فاتحته إلى خاتمته.

* * *

فيه مسائِلُ:

الأولــى: فيه المنقبة العظيمة لطلحةَ بنِ عُبيدِ اللهِ ﵁؛ حيث شَهِدَ له النبيُّ ﷺ بالجنة، وهذا معنى قوله: **(أَوْجَبَ طَلْحَةُ)**؛ أي ـ كما قال العلماءُ ـ: صَنَع صنيعًا وجبتْ له به الجنةُ.

الثانية: فيه فضيلةٌ أخرى لطلحةَ؛ وهي حَمْلُه النبيَّ ﷺ على ظهرِهِ، ودفاعُهُ عنه.

الثالثة: وقع اختصارٌ من الرواة الذين نقلوا هذا الخبر في شأن طلحة وحمايته للنبيِّ ﷺ، فقد روى البخاري عن قيس بن أبي حازم قال: «رأيتُ يَدَ طلحةَ التي وَقَى بها النبيِّ ﷺ قد شَلَّتْ»، وروينا في «مسند الطيالسيِّ» عن عائشةَ أنها قالت: «كان أبو بكر ﵁ إذا ذكر يوم أُحد بكى ثم قال: ذَاكَ كُلُّهُ يَوْمُ طَلْحَةَ...» إلى أن قال: «.. ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجُفار، فإذا به بِضْعٌ وسَبْعُونَ أو أقلُّ أو أكثرُ بينَ طعنةٍ ورميةٍ وضربةٍ، وإذا قد قُطِعَتْ إصبُعُهُ فأصلحنا من شأنه».

الرابعة: فيه فضيلة ظاهرة لطلحة في قوة إيمانه وثباته وشجاعته حتى نُسب إليه يومُ أُحد كلُّهُ، فما أَعظَمَهَا من منقبة في صحيفته يوم القيامة! وفي هذا دليل وبرهان على أن مَن سبّ طلحة أو أَكْفَرَهُ أو كَرِهَهُ فإنما مقصوده في الباطن بُغضُ الدينِ وأنصارِهِ؛ فإن طلحة والصحابة إنما

دافعوا عن الدين، وفتحوا به الأمصار شرقًا وغربًا، وإلا فأيُّ عاقل له فضلة من فهم ينظر في صنيع طلحةَ وَفَقْدِهِ بعضَ جسدِهِ في حماية النبيِّ ﷺ ودفاعِهِ عنه، ثم فَقْدِهِ نفسَهُ كلَّها في الدفاع عنِ الإسلام، أَيُصَدَّق أن هذا الرجل ارتدَّ أو نَافَقَ؟! نعم يُصدق هذا في فهم الزنادقة الباطنية المعادين للنبي ﷺ ولما جاء به من الهُدى.

الخامسة: فيه حفظُ طلحةَ لرسولِ الله ﷺ، **والجزاءُ مِن جنسِ العَمَلِ**، فقد ختم الله له بالشهادة، كما جاء عن النبي ﷺ من وجوه في السنن وغيرها: **(مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ)**؛ ليحفَظِ اللهُ جسدَهُ في الأرضِ؛ كما حَفِظَ أجسادَ الأنبياءِ.

ومِن لطائفِ حفظِ الله لطلحةَ كما حَفِظَ نبيَّهُ ﷺ ما رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» أن عائشة بنت طلحةَ بنِ عُبيدِ اللهِ رأت أباها في المنام فقال لها: يا بُنَيَّةُ حَوِّلِينِي من هذا المكان؛ قد أَضَرَّ بِيَ النَّدى[1]، فأخرجتهُ بعدَ ثلاثينَ سنةً وهو طَرِيٌّ لم يتَغَيَّرْ منه شيءُ فدفن بالبصرة.

السادسة: ما كان عليه الصحابةُ ﷺ مِن إيثارِ محبوباتِ اللهِ على كلِّ شيءٍ، وما كانوا عليه من قوة الإيمان وصحة اليقين؛ فإن النبي ﷺ بَشَّرَ مَنْ بَشَّرَ منهم بالجنَّة، ومع ذلك لم يزدهم هذا إلا جهادًا في سبيل الله، ودفاعًا عن دينه، وتمسُّكًا بشعائِرِهِ.

السابعة: قوله: «كان على النبيِّ ﷺ دِرعَانِ»: هو مِن امتثالِ أمرِ الله تعالى في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١] وهذا لا ينافي التوكُّلَ؛ فإنه من امتثال أمر الله في فعل الأسباب.

(١) أي: المَطَر.

الثامنة: فيه أن على الإمام اتخاذَ الدفاعاتِ لحمايةِ المسلمينَ، ولا سيما المقاتلينَ، وأن يضع الدفاعاتِ المناسبةَ في كلِّ مكانٍ بما يناسبُهُ.

التاسعة: فيه أن تواضُعَ المسلمِ لأخيه من تمامِ الأُخوَّةِ، ومكارم الأخلاقِ، وفعلُ طلحة بالنبيِّ ﷺ هو من تحقيق قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩].

العاشرة: فيه أن البذلَ والعملَ الصالحَ في أوقاتِ الفتنِ والمحنِ، أعظمُ أجرًا ـ في الجملة ـ من غيرها؛ ولا سيما ما يدفع تلك الفتن، وعلى ذلك تَشْهَدُ النصوصُ من الكتاب والسُّنة.

الحادِيَةَ عَشْرَةَ: فيه استحبابُ مكافأةِ مَن صَنَعَ معروفًا عظيمًا بأجزلِ ما يكون إنْ وُجِدَ.





الحَدِيثُ التَّاسِعُ

أخبرني العلَّامةُ المحدِّثُ الطبيبُ أبو الحسن عبيد الله ابن عبد الرحمٰن الرَّحْمانيُّ الدهلويُّ قراءةً عليه في رَايْبْرِيْلِي بالهند، أخبرنا والدي، أخبرنا حسين بن محسن الأنصاري، أخبرنا الحسن ابن عبد الباري الأهدلُ، أخبرنا الوجيه الأهدلُ بإسناده(١) إلى الإمام الترمذي قال:

حدَّثنا محمودُ بن غيلانَ، حدثنا وكيعٌ، حدثنا سفيان، عن سعد ابن إبراهيم، عن عبد الله بن شَدَّادٍ، عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه قال:

ما سمعتُ النبيَّ ﷺ يُفَدِّي أَحَدًا بأبويه إلا لسَعْدٍ؛ فإني سمعته يقول يومَ أُحُدٍ: **(ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي)**.

• رواه الترمذي، ورواه البخاري ومسلم عن سعد بن إبراهيم به نحوَهُ.

* * *

فيه مسائِلُ:

الأولى: فيه المنقبة العظيمة لسعدِ بن أبي وَقَّاصٍ رضي الله عنه في تفدية النبي ﷺ له بأبويه.

---

(١) في الحديث الثامن.

الثانيـة: فيه الشهادةُ من سيِّدٍ من ساداتِ أهلِ البيتِ وهو عليٌّ رضي الله عنه بذلك، بل نفى أن يكون سمعَ النبيَّ ﷺ قال ذلك لغيرِهِ منَ الناسِ.

الثالثة: فيه فضيلةٌ أُخرى لسعدٍ رضي الله عنه؛ وهو دفاعُهُ عن النبي ﷺ يوم أُحد، ورميُهُ عنه، واستتارُهُ ﷺ به، وقد أشار البخاريُّ إلى ذلك إشارةً لطيفةً؛ فبوَّبَ عليه: «بابُ المِجَنّ ومن يَتَتَرَّسُ بتُرْسِ صاحِبِهِ».

وأما قول الحافظ في «الفتح»: «دخول هذا الحديث هنا غير ظاهر؛ لأنه لا يوافق واحدًا من ركنَي الترجمةِ».اهـ. فكذا قال رحمه الله وفيه نظر، فإن النبيَّ ﷺ كان يوم أُحد يستتر بالرامي من أصحابه، وقد جاء التصريحُ بذلك في قصة أبي طلحة؛ كما في «الصحيحينِ» قال أنسٍ: كان أبو طلحة رجلًا راميًا شديدَ القِدِّ، يكسِرُ يومئذ قوسينِ أو ثلاثةٍ، وكان الرجل يمر معه الجَعْبة مِنَ النَّبْلِ، فيقول: انشُرها لأبي طلحة، فأشرف النبيُّ ﷺ ينظُرُ إلى القوم، فيقول أبو طلحة: يا نبي الله بأبي أنت وأمي لا تُشْرِفْ يصيبك سَهْمٌ مِن سهام القومِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ...».

الرابعة: فيه أن القيامَ بأمرِ الدفاعِ عنِ الدين من أشرفِ الخصالِ الموجِبَةِ لمحبَّةِ اللهِ ورسولِهِ.

الخامسة: فيه إشارةٌ إلى أن الرميَ أقوَى الأسلحةِ التي يُصَدُّ بها المحارِبونَ من أعداء الإسلام؛ فالمهارة فيه أحد أسباب النصر، ولذا قال النبيُّ ﷺ ـ كما في «صحيح مسلم» ـ: (**أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيَ**) ثلاثًا، ولعل هذا ـ والله أعلم ـ هو السِّرُّ في تَفْدِيتِهِ ﷺ سَعْدًا بأبويه.

السادسة: وقع في رواية البخاري عن سعدٍ نفسه أنه قال: نَثَلَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ كِنَانَتَهُ يَوْمَ أُحُدٍ فقال: (**ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**).

السابعة: فيه أن مَن سَبَّ سعدًا، فقد سَبَّ مَن فَدَاهُ النبيُّ ﷺ بأبيه وأمه، فما أَقبَحَهَا من خصلةٍ!

الثامنة: تواترتِ النصوصُ في شأنِ الرمي والحثِّ عليه، حتى أفردها غيرُ واحد منَ الأئمة بالتصنيف؛ بل إن النبيَّ ﷺ قال ـ كما في «المسند» وغيره ـ: **(مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى بَلَغَ العَدُوَّ أَوْ لَمْ يَبْلُغْ، كَانَ لَهُ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ...)** بل فيه: **(مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَلَغَهُ، فَلَهُ دَرَجَةٌ في الجَنَّة)**، وكان لسعد ﵁ أوفَرُ الحظِّ والنصيبِ في ذلك، حتى قال ـ كما في «الصحيحين»: «إِنِّي لَأَوَّلُ العَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ» فهذه منقبةٌ لن يغلبه فيها أحدٌ.

التاسعة: قول عليٍّ ﵁: «مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُفَدِّي أَحَدًا بَأَبَوَيْهِ إلا لسَعْدٍ...» استَنْبَطَ منه بعضُ أهل العلم أنه ﷺ لم يُفَدِّ أحدًا غيرَ سعدٍ، وفيه نظر؛ فإن كلامَ عليٍّ لا يقتضِيهِ؛ لأنه قال: «ما سمعت» ولم ينف نفيًا مطلقًا، وهذا من حُسنِ فِقهِهِ ﵁، ولا يشكل على ذلك روايةُ مسلمٍ: «ما جَمَعَ رسول الله ﷺ أبويه لأحد غيرِ سَعْدٍ...»؛ لأن الظاهر أنها رويت بالمعنى، فإن المشهور في لفظِهِ: «ما سمعت» و«ما رأيت» كما رواه الحُفَّاظ، ثم لو كان هذا اللفظ محفوظًا، فإنه لا يشكل كذلك؛ فقد ذكر جماعة أن توجيهَهُ أنه ما جمع ﷺ لأحد أبويه في ذلك اليوم.

كذا قيل، والذي يظهر ـ والله أعلم ـ توجيهٌ أدقُّ منهُ؛ وهو حمله على رواية أبي يعلى بسند صحيح عن سعدٍ نفسِهِ، فإنه قال: «مَا جَمَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَوَيْهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي...» فيكون ما رواه الشيخان أن النبي ﷺ قال للزبير بن العوام يوم الخندق: **(فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي)** محفوظًا، ويكون الأولُ محمولًا على نفي القَبْلِيَّةِ لا البَعْدِيَّةِ، ومع ذلك فهو منقبة نادرة.

العاشرة: روي عن عُمَرَ والحسنِ البصريِّ المنعُ مِنَ التفديةِ،

ولا يَصِحُّ عنهما ذلك، كما قال الإمامُ أبو جعفرِ بنُ جريرٍ في «تهذيب الآثار»، ولو صح، حُمِلَ على عدم بلوغهما الأخبار الصحيحة في ذلك.

الحادِيَةَ عَشْرَةَ: فيه إخلاصُ الصحابة وصِدقُهم ﭫ في الدفاع عنِ الإسلام.

الثانِيَةَ عَشْرَةَ: فيه إشارةٌ إلى أن الصحابةَ ﭫ يتفاضلون؛ كما تدل عليه التفدية بالأبوين، هذا مع أن مقامَهُم لا يلحقهم فيه أحد ولو عُمِّر ما عمّر نوحٌ.

الثالِثَةَ عَشْرَةَ: قال ابن بَطَّالٍ: «فيه دليلٌ على أن الرجلَ إذا كان له أبوانِ، وإن كانا على غير دينِهِ فلهما عليه حْرمةٌ وحقٌّ؛ لأنه لا يُفَدَّى إلا بذي حُرمةٍ ومنزلةٍ، وإلا لم يكن يُفدِّيهِ، ولا فضيلة للمفدَّى، فمن هٰهنا قال مالك: إن مَن آذى مُسلمًا في أبويه الكافرينِ، عُوقِبَ وأُدِّبَ لِحُرمتهما عليه. اهـ.





أَخبرني العلامة الفقيهُ السيدُ محمدُ بن أحمد الشاطريُّ الشافعيُّ قراءةً عليه بِجُدَّةَ، أخبرنا عمر بن حَمْدَانَ، أخبرنا أحمد بن إسماعيل البرزنجي، أخبرنا والدي، عن صالح الفلاني بإسناده(١) إلى الحافظ ابن حجر قال:

أَخبرني أبو إسحاق التنوخي، أخبرنا الحافظ المِزّيُّ، أخبرنا الفخر بن البخاري، أخبرنا ابن طَبَرْزَذ، أخبرنا الكَرُوخي بإسناده(٢) إلى الإمام الترمذي قال:

حدَّثنا صالح بن مِسْمار المَرْوزي، حدثنا ابن أبي فُديك عن موسى بن يعقوب، عن عمر بن سعيد، عن عبد الرحمٰن بن حميد، عن أبيه أن سعيد بن زيد حدَّثه في نَفَرٍ أن رسول الله ﷺ قال:

(عَشَرَةٌ في الجَنَّةِ: أبو بكرٍ فِي الْجَنَّةِ، وعُمَرُ فِي الْجَنَّةُ، وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ والزُّبَيرُ وطلحةُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ).

فَعَدَّ هؤلاء التسعةَ وسَكَتَ عنِ العاشِرِ، فقال القوم: نَنْشُدُكَ اللهِ يا أبا الأعور مَنِ العاشِرُ؟! قال: نشدتموني بالله! **(أَبُو الأَعْوَرِ فِي الجَنَّةِ).**

(١) في الحديث السابع.

(٢) في الحديث الثامن.

• هذا إسناده جيدٌ رواه الترمذيُّ، وصححه غير واحد من الحُفَّاظ، وله شواهُد قَوِيّةٌ.

وفي رواية الإمام أحمد وأبي داود بإسنادٍ صحيح. ثم قال: «والله لَمَشْهَدٌ شَهِدَهُ رَجُلٌ يَغْبَرُّ فِيهِ وَجْهُهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِ أَحدِكُمْ وَلَوْ عُمِّرَ عُمُرَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

وقال الترمذيُّ: أبو الأعور هو سعيد بن زيد بن عمرِو بنِ نُفَيلٍ.

* * *

فيه مسائِلُ:

الأولـى: فيه المنقبةُ العظيمةُ؛ وهي الشهادةُ لسعيدِ بنِ زيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالجنة.

الثانية: فيه المنقبةُ العظيمةُ له أيضًا؛ حيث دَخَل فِي خير عشرة من سادات العالم.

الثالثة: فيه التواضعُ الجمُّ له رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ حيث لم يذكر نفسه مع العشرة حتى حلفوا عليه، مع عِظَمِ هذه الفضيلةِ، وهذا على خلاف ما جرت به العادة؛ أن الإنسان إذا كانت فيه فضيلةٌ ولو قَلَّتْ، فإنه يُحِبُّ أن تُعرَفَ وتُذكَرَ.

الرابعة: فيه المنقبةُ العظيمةُ كذلك للعشرةِ بالشهادة لهم بالجنة.

الخامسة: **فإن قيل**: فلم خَصَّ النبيُّ ﷺ هؤلاءِ العشرةَ بالجنةِ في هذا الحديث وغيرِهِ مع أنه شهد بالجنة لجماعة غيرهم؟:

فالجواب: أن هؤلاء العشرةَ مِنَ السابقينَ إلى الإسلامِ، الذين حصل بهم من إقامة صَرْحِ الدينِ في أول أيامِهِ، وتثبيتِهِ ونصرِهِ والدعوةِ

إليه أكثر مما حصل بغيرهم، وقد كانوا جمعوا إلى ذلك من صلاح السيرة والسريرة، والبذل في ذات الله تعالى والحماية لرسوله ﷺ ما قلَّ اجتماعُهُ في أصحابِ الأنبياءِ، وجُلُّ الصحابة إنما دخلوا في الإسلام بدعوتهم، وفتح الأمصار إنما كان بقيادتهم.

فإذا أبغَضَهم إنسانٌ دلَّ على خُبثه ونفاقِهِ، وإذا أبغض العدد «عشرة» لأجلهم دلَّ مع ذلك على حمقه وقلّة عقله.

قال شيخ الإسلام ابنُ تيميَّةَ في «المنهاج»: «ومعلوم أنه لو فُرض في العالم عشرة من أكفر الناس لم يجب هجر هذا الاسم...».اهـ.

السادسة: من فضائل سعيد وسائر العشرة أن محبَّتُهُمْ والشهادةَ لهم بالجنة عقيدةٌ يلقى المسلم بها ربَّه تعالى في الآخرة، وهذا من فوائد التنصيص عليهم في هذا الخبر، ولذا أجمع العلماء على ذلك، ونصّوا عليه في كتب العقائد والمناقب والسنن وغيرها.

السابعة: هؤلاء العشرةُ كلهم من قريش، ففيه فضيلة قريش على غيرها من قبائل العرب، وفي هذا فضيلةٌ لأصحاب النبي ﷺ على غيرهم، وفضيلة العرب على غيرها من الأمم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

الثامنة: فيه عَلَمٌ من أعلام النبوَّةِ؛ حيث أخبر ﷺ أنهم في الجنة، ومع ذلك فقد ثبتوا على أحسن الهَدْي الصالحِ وأكملِهِ حتى قبضهمُ اللهُ إليه، ولا يستطيع أحدٌ أن ينقُلَ عنهم بإسنادٍ صحيحٍ أو ضعيفٍ أنهم فعلوا ما يوجب الخروج من الجنة.

التاسعة: وقع اختصار في هذا اللفظ الذي سقناه، وقد جاءتِ الرواياتُ في هذا الخبر مفصَّلة بذكرِ لفظِ الجنةِ مع كل اسمٍ من أسماء

هؤلاء العشرةِ ﷺ، وفي هذا ـ كما أشار إليه جماعة من أهل العلم ـ تنبيهٌ وردٌّ على غير ما فِرقةٍ منَ الفِرق الضالَّةِ الطاعنةِ في بعضهم أو جميعهم.

العاشرة: فيه فضيلةٌ لأهل السُّنةِ والجماعةِ؛ من جهة أنهم آمنوا بهذا الحديث عن النبي ﷺ وسلَّمُوا به؛ امتثالًا لأمر الله تعالى في كتابه؛ إذ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠]، بخلاف الطوائفِ الضالَّةِ؛ فإنهم إمّا غَلَوْا في بعضهم أو كفَّروا بعضهم أو كفّروا غالبهم بل جميعهم سوى نَفَر قليل، أمّا أهل السُّنة فأحبوا جميعهم، واعتذروا لمن أخطأ منهم بأنهم بَشَر يجري عليهم ما جرى على الأولين والآخِرينَ منَ الخطأِ والتقصيرِ.

الحادِيَةَ عَشْرَةَ: فيه إبرارُ المُقْسِمِ، وهو من حق المسلم على المسلم.

الثانِيَةَ عَشْرَةَ: الذي استقرَّ عليه اعتقادُ أهلِ السُّنَّة والجماعةِ مِنَ السلفِ والخَلَفِ أن أفضلَ الصحابةِ همُ الخلفاءُ الأربعةُ، ثم هؤلاءِ العشرةُ الذين نصَّ عليهمُ النبيُّ ﷺ هنا، ثم أهلُ بدرٍ ثم أهلُ بيعةِ الرِّضوانِ؛ وهم أصحابُ الشجرةِ؛ كما سيأتي خبرهم، وقد نَظَمَهُم جماعةٌ منهم العلامة السَّفَّارِينيُّ في عقيدتِهِ؛ فقال:

وَبَعْدُ فَالأَفْضَلُ بَاقِي العَشَرَهْ فَأَهْلُ بَدْرٍ ثُمَّ أَهْلُ الشَّجَرَهْ



الحَدِيثُ الحَادِي عَشَرَ

أَخبَرنِي مفتي القُطَيْع الفقيهُ السيدُ محمدُ بنُ يحيى الهَجَّامُ الشافعيُّ قراءةً عليه بالقُطَيْع في تِهامَةَ، أخبَرَنا عليُّ بنُ محمدٍ المأمونُ، أخبَرَنا يحيى بنُ محمدِ بنِ يحيى الهجّامُ، أخبرنا والدي، أخبرنا عبد الرحمٰن بن أبي بكر الهجّامُ، أخبرنا عمر بن عمر بن أحمد ابن سليمان الهجّام، أخبرنا جدي، أخبرنا سليمان بن أبي بكر الهجّام، أخبرنا يحيى بن عمر الأهدل بإسناده[1] إلى الإمام البخاري قال:

حدَّثَنا عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان، عن أبي موسى قال: سمعت الحسن يقول: استقبل ـ واللهِ ـ الحسنُ بن عليّ معاويةَ بكتائبَ أمثال الجبال، فقال عمرُو بن العاص: إني لأَرَى كتائب لا تُوَلِّي حتى تقتل أقرانها.

فقال له معاوية ـ وكان واللهِ خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ ـ: أيْ: عمرٍو، إنْ قَتَلَ هَؤُلاءِ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ هَؤُلاءِ مَنْ لِي بِأُمُورِ النَّاسِ؟! مَنْ لِي بِنِسَائِهِمْ؟! مَنْ لِي بَضَيْعَتِهِمْ؟!

فبعث إليه رَجُلَيْنِ من قريش من بني عبد شمس ـ عبد الرحمٰن ابن سمرة، وعبد الله بن عامر بن كُرَيْز ـ فقال: اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه، وقولا له، واطلبا إليه.

(١) في الحديث الأول.

فَأَتَيَاه فَدَخلا عليه فتكلَّما، وقالا له، فَطَلَبا إليه.

فقال لهما الحسن بن علي: إنَّا بنو عبد المطلب قد أَصَبْنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثَتْ في دمائها. قالا: فإنه يَعْرِض عليك كذا وكذا، ويَطْلُبُ إِلَيْكَ وَيَسْأَلُكَ. قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئًا إلَّا قالا: نحن لك به. فصالَحه.

فقال الحسنُ: ولقد سمعتُ أبا بكرة يقول: «رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسنَ بنَ عليٍّ إلى جَنْبِهِ، وهو يُقْبِل عَلَى الناسِ مرةً وعليه أخرى ويقول: **(إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)**.

• انفرد بإخراجه البخاري. واستدركه الحاكم فتعقَّبه الذهبي.

وقول الحسن البصري: «وكان والله...» يريد أن معاوية خير من عمرو بن العاص.

* * *

فيه مسائِلُ:

الأُولــى: فيه المنقبةُ العظيمة للحَسَنِ رضي الله عنه؛ حيث أثنى عليه النبيُّ ﷺ بالإصلاح بين المختصمَين على الخلافةِ، وهذا أصلٌ عظيمٌ في الاجتماع والحثِّ عليه، بخلافِ شقِّ عصا المسلمين، أو تفريقِ كلمتهم، أوِ الخروجِ على الأئمةِ؛ فإن ذلك كَلَّهُ لم يُنقل في الكتابِ والسُّنَّة الثناءُ على أهلِهِ.

الـثـانـيـة: قال الإمامُ أبو حفصِ بنُ شاهينَ: «تَفَرُّد الحَسَنُ بهذه الفضيلةِ لم يُشارِكْهُ فيها أحدٌ، ولم يُطْلِقِ النبيُّ ﷺ السُّؤْدَدَ في الصحابةِ إلَّا للحَسَنِ عليه السلام». اهـ.

وأمَّا ذِكْر السؤدد مُقَيَّدًا؛ ففي عدة أخبار؛ كقوله في «الصحيحين» لسعد بن معاذ: (**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ**).

الثالثة: قال الحافظُ أبو بكر البيهقيُّ في «الاعتقادِ»: قال سفيان: «قوله: (**فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**): يُعْجِبُنا جِدًّا».

قال الشيخ: «وإنما أعجبهم؛ لأن النبيَّ ﷺ سمَّاهُم جميعًا مسلمينَ. وهذا خَبَرٌ من رسول الله ﷺ بما كان مِنَ الحَسَنِ بنِ عليٍّ بعد وفاةِ عليٍّ في تسليمه الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان».اهـ.

الرابعة: فيه أنه كلَّما كان العفو عن الحق أكبر، كان الجزاء أعظم؛ فإن الحَسَنَ رضي الله عنه لمَّا عفا عن حقِّه في الدنيا سَوَّدَه الله فيها، وصار في الآخرة سَيِّدًا لشبابِ أهلِ الجنةِ، **والجزاءُ مِن جِنْسِ العَمَلِ**.

الخامسة: فيه ذِكْر مآثر آل البيتِ ومناقبهم في الخطبة.

السادسة: فيه عَلَمٌ من أعلام النبوة؛ حيث أخبر ﷺ عن هذه المنقبة وأنها سَتَقَعُ، فوقعت كما أخبر بعد ثلاثين سنة.

السابعة: قوله: «عاثَتْ في دمائها»؛ أي: قَتَل بعضها بعضًا، فينبغي أن تُطَيَّبَ خواطرُهم بالعطايا، وهذا دالٌّ على السؤدَدِ والحِكمةِ مِنَ الحَسَنِ رضي الله عنه؛ لأن مِن أنفعِ ما تُسَكَّن به الفتن هو بَذلُ المالِ.

الثامنة: فيه الصورةُ العظيمةُ من صُورِ جمالِ تاريخِ الإسلام؛ وهي الاجتماعُ على قلبِ رجلٍ واحدٍ، ولذا سُمِّيَ عامَ الجماعِة؛ فقدِ انطلَقَ المسلمون بعده لفتح البلاد ونشر الإسلام، بعد أن مكثوا عدَّة سنين يفني بعضهم بعضًا.

التاسعة: فيه جواز ولايةِ المفضولِ مع وجودِ الفاضلِ.

العاشرة: قال الحافظ في «الفتح»: «فيه إطلاق الابن على ابن البنت، وقَدِ انعقَدَ الإجماعُ على أن امرأةَ الجَدِّ والدِ الأمِّ محرَّمَةٌ على ابنِ بنتِهِ، وأنَّ امرأةَ ابنِ البنتِ محرَّمةٌ على جَدِّهِ، وإِنِ اختلفوا في التوارُث». اهـ.

الحادِيَةَ عَشْرَةَ: زاد أبو داود في روايةٍ: أن المهديَّ الذي يخرج في آخِرِ الزمانِ من ذُرِّيَّة الحَسَن، لكن في هذه الرواية ضَعفٌ، ولو صحَّتْ ففيها نكتةٌ لطيفةٌ كما قال العلماء؛ وهي أن الحَسَن رضي الله عنه تَرَكَ الخلافةَ للهِ عز وجل، فعوَّضَهُ الله في ذُريتهِ، فجعل مِنْ وَلَده من يقوم بخلافة الأرضِ كلها؛ ليملأها قسطًا وعدلًا كما ملئتْ ظلمًا وجورًا.

الثانِيَةَ عَشْرَةَ: فيه أن مِن هَدْي آلِ البيتِ البَدْءَ بالصُّلحِ عِنْدَ الخصوماتِ، وأنهم أهلُ إصلاحٍ لا أهلُ إفسادٍ.

فعلى أتباعهم الصادقينَ الاقتداءُ بهَديِهم في ذلك، وإلا كانتِ المحبةُ المزعومةُ دَعوًى.



الحَدِيثُ الثَّانِي عَشَرَ

أَخْبَرَنِي المحدِّثُ المعمَّرُ عبدُ الرحمٰن بنُ عبد المجيد البُرْمَاوِيُّ سماعًا وإذنًا بِمَكَّةَ، أخبرنا عبيد الله بن الإسلام السندي، عن نذير حسين، أخبرنا محمد إسحاق الدهلوي، أخبرنا عبد العزيز بن الولي الدهلويُّ، أخبرنا والدي، عن أبي طاهر الكوراني، عن البصري بإسناده[1] إلى الإمام أحمد قال:

حدَّثَنا حسين بن محمد، حدثنا إسرائيل، عن ميسرة بن حبيب، عنِ المنهالِ بن عمرو، عن زِرِّ بن حُبيش، عن حذيفة قال: سألتني أمِّي: منذ متى عَهْدُكَ بالنبيِّ ﷺ؟ فقلت لها: منذ كذا وكذا. قال: فنالتْ منِّي وسَبَّتْني، قال: فقلت لها: دعيني فإني آتي النبيَّ ﷺ فأصلي معه المغربَ، ثم لا أَدَعُهُ حتى يستغفِرَ لي ولَكِ، قال: فأتيتُ النبيَّ ﷺ فَصَلَّيْتُ معه المغربَ، فصلَّى النبيُّ ﷺ إلى العشاءِ ثم انْفَتَل فَتَبِعْتُه، فَعَرَض له عارضٌ فناجاه، ثم ذَهَبَ، فاتَّبَعْتُه فسمع صوتي، فقال: **(مَنْ هَذَا؟)** فقلتُ: حذيفةُ، قال: **(مَا لَكَ؟)**، فَحَدَّثْته بالأمر، فقال: **(غَفَرَ اللهُ لَكَ وَلِأُمِّكَ)**، ثم قال: **(أَمَا رَأَيْتَ العَارِضَ الَّذِي عَرَضَ لِي قُبَيْلُ؟)** قال: قلتُ: بلى. قال: **(فَهُوَ مَلَكٌ مِنَ المَلَائِكَةِ لَمْ يَهْبِطِ الأَرْضَ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ وَيُبَشِّرَنِي أَنَّ الحَسَنَ والحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ)**.

(١) في الحديث الثالث.

• هذا إسنادٌ صحيحٌ، رواه الإمامُ أحمدُ وغيرُهُ مِن غيرِ وجهٍ عن حذيفة وغيره.

* * *

فيه مسائِلُ:

الأولــى: فيه التصريحُ بأنَّ الحَسَنَ والحُسَينَ سيِّدا شبابِ أهل الجنة، وهذا من أعظم فضائل آل البيت.

الثانية: فيه دليلٌ لمن قال: إن خيرَ نساءِ العالمينَ فاطمةُ؛ لهذا الخبرِ وأشباهِهِ، ولكونها البَضْعَةُ النبويةُ.

الثالثة: قولُه: (**سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**): رَدٌّ على مَن قال بِنُبُوَّةِ النساء؛ لأن مَرتبة النبيِّ فوقَ مرتبةِ الوليِّ بإجماعٍ.

الرابعة: فيه استحبابُ المبادرةِ إلى بِشارةِ آل البيتِ.

الخامسة: فيه فضيلةُ مَنْ أَدخَلَ السرورَ على آلِ البيتِ.

السادسة: فيه أنَّ مِن إكرامِ آل البيت ابتداؤهم بالسلامِ على كلِّ حالٍ.

لكن يظهر لي ـ والله أعلم ـ أنه يستثنى من ذلك ما إذا تهاجر الواحد من الآل مع غيره، فإن الأَوْلَى أن يبتدئ آلُ البيت غَيْرَهم بالسلام؛ لما في ذلك مِنَ السُّمُوِّ والفَضْلِ؛ كما في «الصحيحين» عنِ النبيِّ ﷺ مِن قوله: (... **وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ**)، ولِمَا تقدَّم في الحديث الحادي عَشَرَ في فضل الحَسَن بنِ عليٍّ: (**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ**...).

السابعة: فيه عَلَمٌ مِن أعلامِ النبوَّةِ؛ إذ كان الحسن والحسين عند وفاته ﷺ صِبْيَةً، فأخبر أنهما سَيَشِبَّانِ، ويكونانِ سَيِّدا شبابِ أهلِ الجنةِ.

الثامنة: فيه شِدَّةُ محبةِ الملائكةِ لآل البيتِ، وتنافُسُهم في ذلك.

التاسعة: فيه حُسْنُ تربيةِ الصحابةِ رضي الله عنهم أبناءَهم على محبة النبيِّ ﷺ، فكأنه ـ والله أعلم ـ لمَّا علم ذلك منهم، أشار إليهم إشارة لطيفة بأن مِنْ حُبِّه ﷺ حُبُّ آل بيتِهِ، وهو سِرُّ ذِكْرِه لحذيفةَ بشارةَ المَلَكِ عليه السلام، فهذا من ألطف الإشارات والبشارات.

العاشرة: فيه أنه ﷺ بَشَرٌ قد يخفى عليه ما يخفى على الناس؛ لقوله: **(مَنْ هَذَا؟)** فأئمة آل البيت أَوْلى.

الحادِيَةَ عَشْرَةَ: فيه المنقبةُ العظيمةُ لأميرِ المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه التي لم يَشْرَكْهُ فيها أحدٌ، فَزَوْجُهُ فاطمةُ سيدةُ نساءِ أهلِ الجنةِ، وابناهُ الحَسَن والحُسينُ سَيِّدا شبابِ أهلِ الجنةِ.

الثانِيَةَ عَشْرَةَ: رُوِّينا هذا الخَبَرَ مختصرًا في «سنن النسائيِّ الكبرى» وغيرِها من حديث أبي سعيد مرفوعًا: **(الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ إِلَّا ابنَيْ الخَالَةِ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا)**، وفيه الحَكَمُ بن عبد الرحمٰن وهو سَيِّئ الحفظِ، فهذا وإن كان ضعيفًا إلَّا أنه قَدِ انعقَدَ الإجماعُ على أن الأنبياءَ فوقَ درجةِ الأولياءِ.





أخبرني العلامةُ الفقيهُ السيدُ حَمُودُ بنُ عباسٍ المؤيَّدُ قراءةً عليه بجامع النهرين في صنعاء، أخبرنا السيدُ عليُّ بن إبراهيم، أخبرنا الحسينُ بن عليٍّ العَمري، أخبرنا القاسم بن حسين المنصور، أخبرنا علي بن أحمد الظفري، أخبرنا عبد الله، أخبرنا والدي الإمام محمد ابن إسماعيل الأمير، أخبرنا يحيى بن عمر الأهدلُ بإسناده[1] إلى الإمام البخاريِّ قال:

حدثنا إسحاقُ، أخبرنا خالد بن عبد الله، عن خالد الحذاء، عن أبي عثمان أن رسول الله ﷺ بَعَث عمرو بن العاص على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيتُه فقلت: أيُّ الناسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال: **(عَائِشَةُ)**. قَلتُ: مِنَ الرجالِ؟ قال: **(أَبُوهَا)**. قلت: ثُمَّ مَنْ؟ قال: **(عُمَرُ)**، فَعَدَّ رجالًا، فَسَكَتُّ مخافَةَ أن يجعلَني في آخِرِهِمْ.

• رواه البخاري. وهو موصولٌ وإن جاء في صورة المرسَلِ، ويدل عليه قولُ عمرٍو هنا «فأتيته فقلتُ».

وقد رواه مسلم عن خالد، عن خالد، عن أبي عثمان قال: أخبرني عمرو بن العاص به نحوه.

(١) في الحديث الأول.

فيه مسائِلُ:

الأُولــى: فيه المنقبةُ العظيمةُ لأبي بَكرٍ رضي الله عنه؛ حيث كان أَحبَّ الناس إلى رسول الله ﷺ مِنَ الرجال.

الثانية: فيه المنقبةُ العظيمةُ لأمِّ المؤمنينَ رضي الله عنها؛ حيث كانت أَحَبَّ الناسِ إلى رسولِ الله ﷺ مِنَ النِّسَاءِ.

الثالثة: فيه المنقبةُ العظيمةُ لأميرِ المؤمنينَ عُمَرَ رضي الله عنه بعد أبي بكر رضي الله عنه.

فأيُّ قُبْحٍ يحمله إنسانٌ أقبَحُ من بغضه لأحب الخلق إلى رسول الله ﷺ؟!

الرابعة: فيه المنقبةُ العظيمةُ لعَمْرِو بن العاصِ رضي الله عنه؛ حيث ولّاه رسولُ الله ﷺ على جيشٍ فيه ساداتُ الصحابة؛ كأبي بكر وعُمَرَ وعُثمانَ وعليٍّ وسائرِ العشرةِ وأهل بدر وغيرهم.

الخامسة: **فإن قيل**: فلم سأل عمرو بن العاص رسولَ الله ﷺ هذا السؤال؟!

فالجواب: أنه لما بعثه أميرًا على هذا الجيش وغيره وفيه ساداتُ الصحابةِ، ظنَّ أنه أَحَبُّ الناس إليه، فسأله ليستيقن الأمر ـ كما في رواية البيهقي في «الدلائل» ـ فأجابه بما قال، ليُبينَ له حكمَ الله أولًا، وليبين له ثانيًا أن مُطلَقَ التفضِيلِ لا يلزم منه التفضيلُ المطلَقُ على غيرِهِ من جِلَّةِ السابقينَ الأولينَ.

ولا يُشكِلُ على ذلك روايةُ ابنِ أبي شَيْبَةَ والطحاويِّ والطبرانيِّ: «قلت: يا رسول الله! أي الناس أحبُّ إليكَ؟ قال: **(وَلِمَ؟)** قلت: لِأُحِبَّ مَنْ تُحِبُّ» فإن هذا سبب آخر كذلك.

السادسة: فيه تفضيلٌ لعمرٍو كذلك؛ في أنه كان موضعَ ثقةِ النبيِّ ﷺ، ولا سيما في أمرٍ هو ذِروةُ سَنَامِ الإسلامِ وهو الجهاد وتبليغ الرسالة، وأيضًا فيه فضيلةٌ له من جهة أنه مع قرب إسلامه إلا أنه كان مجتهدًا في الخير حتى سبق إلى هذه الثقة، ومثل هذا لا يقع إلا للصادقين المخلصين.

السابعة: فيه ما كان عليه الصحابة مِن امتثالِ الشرعِ، والسمعِ والطاعةِ للنبيِّ ﷺ، ولا سيما أكابرُ الصحابة، فإن عَمْرًا وَلَّاهُ ﷺ عليهم وهو حديثُ عهدٍ بإسلامٍ، ومع ذلك لم يأنفوا وِلايتَهُ، بل جاءتِ الرواياتُ بأنهم سمعوا له وأطاعوا في عدةِ حوادثَ في هذه الغزوة مع مخالفتِهِ لهم في الرأي؛ كما هو مبسوط في كتب السنن والسِّير.

الثامنة: ذَكَرَ الزركشيُّ في «الإجابة» من خصائص أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قال:

وجوب محبتها على كل أحدٍ؛ ففي «الصحيح» لما جاءت فاطمة رضي الله عنها إلى النبي ﷺ قال لها: **(أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ؟!)** قالت: بلى. قال: **(فَأَحِبِّي هذِهِ)**؛ يعني: عَائِشَةَ وهذا الأمرُ ظاهر الوجوب، وتأمل قوله ﷺ لما حاضت عائشة: **(إِنَّ هَذَا شَيْءٌ كَتَبَهُ اللهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ)**، وقوله لما حاضت صفيَّةُ: **(عَقْرَى حَلْقَى! أَحَابِسَتُنَا هِيَ؟!)** وفرق عظيم بين المقامين.

ولعل من جملة أسباب المحبة كثرة ما بلّغته عن النبي ﷺ دون غيرها من النساء.

التاسعة: وذكر الزركشي كذلك من خصائصها قال: «من قذفها فقد كفر، لتصريح القرآن ببراءتها، قال الخوارزمي في «الكافي» ـ من أصحابنا ـ

في كتاب «الردة»: لو قذف عائشة بالزنى صار كافرًا، بخلاف غيرها مِنَ الزوجاتِ؛ لأن القرآن نزل ببراءتها، وعند مالك أنّ مَن سَبَّها قُتِلَ، قال أبو الخطاب بنُ دِحيَةَ في أجوبة المسائل: ويشهد لما قال مالك كتابُ الله؛ فإن الله تعالى إذا ذكر في القرآن ما نسبه إليه المشركون سَبَّحَ نفسه، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ﴾ [مريم: ٨٨] والله تعالى ذكر عائشة فقال: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦] فَسَبَّحَ نفسَهُ في تنزيهِ عائشةَ كما سبَّحَ نفسَهُ لنفسِهِ في تنزيهِهِ، حكاه القاضي أبو بكر بن الطيب». اهـ مختصرًا.

العاشرة: فيه جوازُ تأمير المفضولِ على الفاضلِ، سيَّما إذا امتاز المفضول بصفة تتعلق بتلك الولاية.

الحادِيَةَ عَشْرَةَ: فيه صِحَّةُ فِراسةِ النبيِّ ﷺ في تأمير عمرو بن العاص على هذا الجيش، فإن هذه الغزوةَ قدِ انتصَرَ فيها عمرٌو والمسلمون، ولذا وَلَّاهُ ﷺ عُمَان، ثم ولّاه عمرُ رضي الله عنه مصرَ، فأحسن الولاية.

الثانِيَةَ عَشْرَةَ: فيه استحباب إظهار ترابط الزوج مع زوجته، والإعلام بمحبتها، ليقتدي بذلك الناس، متى دعت الحاجة لذلك.

الثالِثَةَ عَشْرَةَ: فيه أن على الإمامِ احتواءَ رجالاتِ الأمَّةِ والقادةِ، وجعلهم ذخيرةً لأهلِ الإسلامِ، ولا سيمَا أوقاتُ الحاجة؛ فإن هذا من حُسنِ السياسةِ، وحكمةِ القيادةِ.

الرابِعَةَ عَشْرَةَ: هذا الخبر الصحيح يدل على نكارة ما رواه الحاكم: «كَانَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاطِمَةَ، وَمِنَ الرِّجَالِ عَلِيٌّ» وقد رواه الترمذي بنحوه كذلك وفيه جميع بن عمير وهو صاحب مناكير.

الـخـامِـسَـةَ عَـشْـرَةَ: فيه أن مِن حكمةِ الحاكمِ أن يُوَلِّيَ الولايةَ زمنَ الفتنِ أوِ الحروبِ مَن يقوى على ضبط الأمورِ بدهائِهِ وحِنكتِهِ وقوّته، وإن كان غيرُهُ أكثرَ منه دِينًا؛ لأن تغليبَ القوةِ في هذه الحالِ أنفعُ للناسِ في المآلِ، وإلا فلو كان تغليبُ الدين أنسبَ لَولَّى أبا بكرٍ أو عُمَرَ أو غيرَهما ممن هو مُقدَّمٌ على عمرٍو رضي الله عنهم أجمعين.



الحَدِيثُ الرَّابِعَ عَشَرَ

أخبرنا العلامة المحدِّثُ محمدُ إسرائيل بن إبراهيم السلفيُّ قراءة عليه بالكويت، أخبرنا عبد الجبار الشَّكْراوي، أخبرنا أحمد الله القرشي.

ح، وعاليًا أخبرني العلامة المحدث عبد العزيز بن فتح الزُّبَيْدي قراءة عليه بِلَاهُور، أخبرنا أحمد الله القرشي، أخبرنا نذير حسين بإسناده[1] إلى الإمام البخاري قال:

حدثني إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف، عن مَعْمَرٍ، عنِ الزُّهريِّ، عن عمرِو بن أبي سفيان الثقفيِّ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

بعث النبيُّ ﷺ سَرِيَّةً عَيْنًا وأمَّر عليهم عَاصِمَ بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطَّاب، فانطلقوا حتَّى إذا كان بين عُسفانَ ومكَّةَ ذكروا لِحَيٍّ من هُذيل يقال لهم: بنو لَحْيَانَ، فَتبِعُوهم بقريبٍ من مائةِ رامٍ فاقتصُّوا آثارهم، حتى أَتَوْا منزلًا نزلوه فوجدوا فيه نَوَى تمر تزوده من المدينة فقالوا: هذا تمر يثرب فتبعوا آثارهم حتَّى لحقوهم، فلمَّا انتهى عاصم وأصحابه لجؤوا إلى فَدْفَدٍ[2]، وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا لكمُ العهدُ والميثاقُ إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلًا، فقال عاصمٌ: أما أنا، فلا أنزل في ذِمَّةِ كافرٍ اللَّهُمَّ أَخبِرْ عنَّا نَبِيَّكَ، فقاتلوهم

(١) في الحديث الثاني.

(٢) **الفَدْفَد**: الموضع المرتفع.

حتَّى قتلوا عاصمًا في سبعة نفر بالنبل، وبقي خبيب وزيدٌ ورجل آخر فأعطَوْهمُ العهدَ والميثاقَ، فلمَّا أعطَوْهُمُ العهدَ والميثاقَ نزلوا إليهم، فلمَّا استمكنوا منهم، حلوا أوتار قِسِيِّهِمْ فربطوهم بها فقال الرَّجل الثالث الذي معهما: هذا أول الغدر فأبى أن يصحبهم فجرَّروه وعالجوه على أن يصحبهم، فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتَّى باعوهما بمكة، فاشترى خبيبًا بنو الحارث بنِ عامرِ بن نَوفلٍ وكان خبيبٌ هو قتل الحارثَ يومَ بدرٍ، فمكث عندَهم أسيرًا حتَّى إذا أجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث لِيَسْتَحِدَّ بها، فأعارته قالت: فغفلت عن صبيٍّ لي، فدرج إليه حتَّى أتاه فوضعه على فخذه، فلمَّارأيته فزعت فزعة عرف ذاك مني وفي يده الموسى فقال: أتخشين أن أقتله، ما كنت لأفعل ذاك إن شاء الله وكانت تقول: ما رأيت أسيرًا قطُّ خيرًا من خبيب؛ لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكَّة يومئذٍ ثمرةٌ، وإنه لَمُوثَقٌ في الحديدِ وما كان إلا رزقٌ رزقه الله، فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال: دعوني أُصَلِّي ركعتينِ، ثمَّ انصرف إليهم فقال: لولا أن تروا أنَّ ما بي جزعٌ من الموت لزدتُ فكان أوَّلَ من سَنَّ الرَّكْعتين عند القتل هو ثُمَّ قال: اللَّهُمَّ أحْصِهِمْ عَدَدًا ثُمَّ قال:

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ للَّهِ مَصْرَعِي
وَذٰلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَـهِ وَإِنْ يَشَـأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

ثُمَّ قَامَ إليه عقبةُ بن الحارثِ فقتله وبعثت قريشٌ إلى عاصم ليؤتوا بشيءٍ من جسده يعرفونه وكان عاصمٌ قَتَلَ عُظيمًا من عُظمائهم يوم بدرٍ، فبعث الله عليه مثل الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ[١]، فحمته من رُسُلِهِم؛ فلم يقدروا منه على شيءٍ».

(١) **الدَّبْر**: جماعة النحل والزنابير.

• رواه البخاري.

وبهذين الإسنادين نروي الصحيح سماعًا مرتين من فاتحته إلى خاتمته.

* * *

فيه مسائِلُ:

الأُولــى: فيه المنقبةُ العظيمةُ لخُبيبِ بن عَدِيٍّ الأنصاريِّ من وجوه:

ـ الأول: أن الله تعالى ختم له جهاده في الإسلام بالشهادة في سبيله.

ـ الثاني: شهوده بدرًا؛ وقد قال النبي ﷺ: **(لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)**.

ـ الثالث: ما حصل له مِنَ الكرامةِ العجيبةِ؛ وهي إمدادُ الله تعالى له بأطيبِ الطعامِ وهو أسير مكبّل.

ـ الرابع: ما ترتب على صلاته ركعتين عند القتل أنْ أكرَمَهُ الله تعالى بجعل ذلك شريعة إلى يوم القيامة.

ـ الخامس: ما اشتمل عليه خبيب من الرحمة في عدم قتله الصبيَّ مع تمكُّنِهِ من ذلك، هذا مع أنهم عذّبوه، فقد جاء في رواية بريدة بن سفيان ـ كما حكى الحافظُ في «الفتح» ـ قال: «فأساءوا إليه في إساره» وهذا دليل على صفاء قلوب أصحاب النبي ﷺ وسلامة قلوبهم مِنَ الغدرِ والخيانةِ وأعمالِ القلوبِ الخبيثةِ، ولاحِظْ ـ أيها الموفَّقُ ـ حالَهم هذا وحالَ من سبَّ هؤلاءِ الصحابةَ الكرامَ، وما اشتملتْ عليه نفوسُهم مِنَ الخُبثِ والمَكرِ والغدرِ والغلِّ والحَسَدِ، هذا مع هؤلاء الأموات، فكيف بغيرهم من الأحياء.

الثانية: فيه المنقبة العظيمة كذلك لأمير السريّة عاصمِ بنِ ثابتٍ الأنصاريِّ **من وجوهٍ**:

ـ الأول: أن الله أكرَمَهُ بالشهادةِ في سبيلِهِ بعدَ جهادٍ عظيمٍ في المغازِي.

ـ الثاني: شهوده بدرًا؛ لقوله: «وكان عاصمٌ قَتَلَ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوَمَ بَدْرٍ»، وتقدم مغفرة الله لأهل بدر.

ـ الثالث: عِزَّتُهُ وقوةُ ثباتِهِ؛ حيث صَبَرَ على القتل، ولم يسلم نفسه لكافر.

ـ الرابع: ما أكرمه الله به من الكرامةِ العجيبةِ، حيث حفظ جسده الطاهر من أن يأخذه المشركون، ويُهينوه بالتمثيلِ والتقطيعِ، **والجزاءُ من جِنس العملِ**، فحيث لم يُسَلِّمْ للمشركين جسدَه الطاهرَ حالَ حياته؛ لم يسلم الله لهم جسده حال وفاته، وقد فَعَل بالله أعظم ما يفعله المجاهد منَ امتلاءِ قلبهِ بالله، فلم يكنِ اللهُ ﷻ وهو أكرم الأكرمين ليفعلَ به بعد مماته إلا أحسنَ الفعلِ؛ منِ اتخاذه شهيدًا حيًّا يرزق عنده تحت عرشه أحسنَ الرزقِ وأكرمَ العيشِ، وهذه سُنَّتُهُ سبحانه بأوليائِهِ وأحبابِهِ، جَعَلَنَا الله منهم.

ـ الخامس: استجابة الله دعاءه؛ فقد جاء في روايةٍ عندَ البخاريِّ «فَاسْتَجَابَ اللهُ لِعَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ يَوْمَ أُصِيبَ، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ خَبَرَهُمْ وَمَا أُصِيبُوا»

الثالثة: فيه المنقبةُ العظيمةُ أيضًا لزيدِ بنِ الدَّثِنَةِ وبقيةِ أصحابهِ في استشهادهم ﵃.

الرابعة: فيه ما كان عليه الصحابة من شدة التمسك بالدين، والدفاع عنه، والموت في سبيل الله.

الخامسة: جاء من غير وجه في السِّيَرِ أنهم قالوا لخُبيب بن عديٍّ وزيدِ بن الدثنة: «يَسُرُّك أن محمدًا تُضرَبُ عنقُهُ وأنكَ في أهلِكَ؟ فقال: والله ما يسرُّني أني في أهلي وأن محمدًا في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه». ولذا قال أبو سفيان: «مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا».

فللَّه هؤلاء الرجالُ ما أعظَمَ محبَّتَهُم! وما أَجَلَّ تضحيَتَهُم، وما أثخن صدقَهم، وما أبرّ فعلَهم!

السادسة: قَدِ اختصر بعضُ الرواةِ هذا الحديثَ جدًا، وإلا فقد وردتِ الرواياتُ بعجائبَ مِن صنيع هؤلاء المجاهدين الأولين بهذا الدين، ومن ذلك ما روّينا في «السيرة» لابن إسحاقَ أنه قال عن خُبيب ابن عدي: فلما أَوْثَقوه قال: اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ بَلَّغْنَا رِسَالَةَ رَسُولِكَ، فَبَلِّغْهُ الغَدَاةَ مَا يُصْنَعُ بِنَا، ثم قال: اللَّهُمَّ أَحصِهِمْ عَدَدًا، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا، وَلَا تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا. ثم قتلوه رَحِمَهُ اللهُ، فكان معاوية بن أبي سفيان يقول: حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان، فلقد رأيته يلقيني إلى الأرض، فَرَقًا مِن دعوةِ خُبيبٍ، وكانوا يقولون: إن الرجلَ إذا دُعِيَ عليه فاضطَجَعَ لجَنبِهِ زَالَتْ عنهُ. وحدثني بعض أصحابنا قال: كان عمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ استعمل سعيدَ بن عامرٍ الجُمَحِيَّ على بعض الشام فكانت تصيبُهُ غشيةٌ وهو بين ظَهْرَيِ القوم، فَذُكر ذلك لعُمَر بن الخطابِ وقيل: إن الرجل مُصابٌ. فسأله عمر في قَدْمَةٍ قَدِمَهَا عليه، فقال: يا سعيدُ ما هذا الذي يصيبُكَ؟ فقال: والله يا أميرَ المؤمنينَ ما بي مِن بأسٍ، ولكني كنت فيمن حضر خُبيبَ بن عديٍّ حينَ قُتِلَ، وسمعت دعوتَهُ فواللهِ ما خَطَرَتْ على

قلبي وأنا في مجلس قَطُّ إلا غُشِيَ عَلَيَّ، فزادته عند عمر خيرًا...».

وهكذا الرواياتُ بنحوِ ذلك عن صاحبيه عاصمٍ وزيدٍ، رضي الله عنهم أجمعين.

السابعة: فيه إثباتُ كراماتِ الأولياءِ؛ كما هو مذهبُ أهلِ السُّنةِ والجماعةِ.

الثامنة: فيه أن العينَ وهو الجاسوسُ في الحربِ منَ الجهادِ في سبيلِ اللهِ ﷻ.

التاسعة: فيه أن الأسيرَ مخيَّرٌ بينَ أن يمتنع من قَبولِ أمانِ الكافرِ، أَنَفَةً مِن أن يجري عليه حكمُه. وهذا مِنَ الأخذِ بالحزمِ، وبين قَبُولِ أمانِهِ، وهذا منَ الأخذِ بالرخصةِ، وكلاهما قد فعله هؤلاء السادةُ ﵃، فكان في الأمر مندوحةٌ لمن شاءَ الأخذَ بأيهما.

العاشرة: فيه جملةٌ من أحكامِ الأسيرِ في الإسلامِ؛ منها أن خُبيبًا غدروا به فأسلموه لمن يقتله، وهو ﵁ لما دبّ إليه الصبيُّ في الأَسرِ لم يغدرْ بهم فيقتله، ومقتضى الحرب أنهم سيتلفونه فليتلفه، جزاءً وفاقًا، وقد جاء في رواية عروة ـ كما في «الفتح» ـ فأخذ خبيب بيد الغلام فقال: «هل أمكن الله منكم». وفي رواية البخاري هذه قال: «أتخشين أن أقتله، ما كنت لأفعل ذاك إن شاء الله». فهذه من أعظم صور أحكام الأسرى وأجملها في الإسلام، وانظر إلى مقابلها في الشرع في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨، ٩].

الحادِيَةَ عَشْرَةَ: قوله عن خُبيب: «فَخَرَجُوا بِهِ مِنَ الحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ» ثم حَبْسُهم له قبل ذلك مدةً إنما كان لأجل أن تخرج الأشهر

الحُرُم، فهذا فيه ما كان عليه مشركو قريش من تعظيمِ الحَرَمِ والأشهُرِ الحُرُم.

فانظر إلى حال هؤلاء المشركين في تعظيم الحَرَم، وحال مَن يَدَّعي نصرة الإسلام بتفجيرِ المتفجراتِ في الحَرَم في الأشهُرِ الحُرُمِ والحُجَّاجُ يَملئون سَهْلَه وَجَبَلَه!

الثانِيَةَ عَشْرَةَ: فيه أن الله سبحانه يَبتَلِي أَحَبَّ عبادِهِ إليه وأخلَصَهم فيه بما شاء مِنَ القتلِ والتعذيبِ والتشريدِ، مما سبق في علمه تعالى؛ ليرفع منازلهم على كثير من الصالحين.

الثالِثَةَ عَشْرَةَ: فيه أن إظهار الداعيةِ إلى اللهِ القوَّةَ والتجَلُّدَ في النوازلِ والمصائبِ منَ الدعوةِ إلى الله، ولا سيما أمامَ المشركينَ.





الحَدِيثُ الخَامِسَ عَشَرَ

أَخْبَرَنِي الشيخُ الصالحُ الشريفُ عبدُ الرحمٰن بن عبد الحي الكَتَّانِيُّ قراءةً عليه بِفَاسٍ، أخبرنا والدي، عن أحمد بن إسماعيل البرزنجي بإسناده[١] إلى الحافظ ابن حجر، وبإسناد الحافظ[٢] إلى الإمام البخاري قال:

حدثَنا عليُّ بن عبد الله، حدثنا سفيان، حدثنا ابن المنكدر، قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:

«جيء بأبي يومَ أُحُدٍ قد مُثِّلَ به حتى وُضع بين يَدَيْ رَسولِ اللهِ ﷺ، وقد سُجِّيَ ثوبًا، فذهبتُ أُريد أن أكشِفَ عنه فنَهَانِي قومِي، ثم ذهبتُ أكشِفُ عنه فنهاني قَومي، فأمر رسولُ الله ﷺ فَرُفِعَ، فسَمِعَ صوتَ صائحةٍ فقال: **(مَنْ هَـذِهِ؟)** فقالوا: ابنـةُ عمرٍو أو أختُ عمرٍو. قال: **(فَلِمَ تَبْكِي؟)** أو **(لا تَبْكِي فَمَا زَالَتِ المَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رُفِعَ)**».

• رواه البخاري، وفي رواية له: «فَجَعَلَتْ عَمَّتِي فاطمةُ تَبكِي» ورواه مسلم عن سفيان وهو ابن عيينة به نحوه.

وفي رواية طلحة بن خِرَاش عن جابر ـ عند الترمذي ـ أن النبي ﷺ قال له: **(أَفَلا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهُ بِهِ أَبَاكَ؟!)** قلتُ: بلى يا رسول الله.

---

(١) في الحديث العاشر.

(٢) في الحديث الأول.

قال: (مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ. قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً. قَالَ الرَّبُّ ﷻ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ)، قال: وأُنْزِلَتْ هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾ . . . الآية [آل عمران: ١٦٩].

* * *

فيه مسائِلُ:

الأولــى: فضيلةُ عبد اللهِ بنِ عمرِو بنِ حَرَامٍ الأنصاريِّ ﷺ من وجوه:

ـ الأول: استشهاده يوم أُحُد، وقد قال النبي ﷺ كما في حديث جابر عند البخاري: (**أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ**).

ـ الثاني: تظليل الملائكة له؛ تعظيمًا وإجلالًا بأمر الله تعالى.

ـ الثالث: ما جرى عليه من الأذى بعد استشهاده بالتمثيل والتقطيع.

ـ الرابع: إيثاره محبَّةَ رسولِ الله ﷺ والدفاعَ عنه في هذه الغزوةِ على أنه كان عنده عِدَّةُ بُنَيَّاتٍ يَعُولُهنَّ، فقد قال جابر ـ كما في البخاري ـ «لما حَضَر أُحُدٌ دعاني أبي مِنَ اللَّيلِ فقال: ما أُراني إلا مقتولًا في أولِ من يقتل من أصحابِ النبيِّ ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعزَّ عليَّ منكَ غيرَ نفسِ رسولِ اللهِ ﷺ، فإنَّ عَلَيَّ دَينًا فاقْضِ، وَاستَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا. فأصبحنا فكان أوَّل قتيلٍ، ودُفِن معه آخَرُ في قبرٍ، ثم لم تَطِبْ نفسِي أن أتركه مع الآخَرِ، فاستخرجتُهُ بعد ستَّةِ أشهُرٍ فإذا هو كيومِ وضعتُه هُنَيَّةً غير أُذُنه».

ـ الخامس: قوله: (... **فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا**): قال البدر العيني: فيه فضيلةٌ عظيمةٌ لم تُسمع لغيره من الشهداء في دار الدنيا. اهـ.

الثانية: قوله: (فَلِمَ تَبْكِي أَوْ لَا تَبْكِي): شَكٌّ مِنَ الراوي؛ هل استفهَمَ أو نَهَى؛ كما أشارت إليه الرواية هنا، وفي رواية أخرى عند البخاري وغيره: (تَبْكِينَ أَوْ لَا تَبْكِينَ مَا زَالَتْ...) وهذه تفيد التسويةَ بينَ البكاءِ وعدمِهِ.

قال الإمامُ النوويُّ: معناه: سواءٌ بَكَتْ عليه أم لا، فما زالتِ الملائكةُ تُظِلُّه؛ أي: فقد حَصَلَ له مِنَ الكرامةِ هذا وغيره، فلا ينبغي البكاءُ على مِثل هذا. وفي هذا تسليةٌ لها.اهـ.

الثالثة: قوله: (حَتَّى رُفِعَ): في رواية الطيالِسِيِّ بإسنادِ «الصحيحينِ»: (فَوَاللهِ مَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى دَفَنْتُمُوهُ): والدفن والرفع قريبان في المعنى.

الرابعة: فيه جوازُ كَشْفِ وجهِ الميِّتِ؛ فإن النبيَّ ﷺ لم يَنْهَ جابرًا عن ذلك؛ كما جاء التصريحُ به في رواية في «الصحيحينِ»، وكذا يجوز تقبيلُهُ كما جاء مِن وجوهٍ في «السنن» وغيرها أن النبيَّ ﷺ قَبَّل عثمانَ بنَ مَظْعونٍ، وفي البخاري «أن أبا بكر كشف عن رسول الله ﷺ فقبّله...».

الخامسة: فيه أن الشهداءَ لا يُدفَنُون إلا في موضعِ قتلِهم، ولو نُقلوا فإنَّ على الإمام أن يردَّهم إلى مضاجِعِهم، ولذا قال هنا: «فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرُفِعَ»؛ أي: رُدّ إلى المضجع والقبر.

السادسة: فيه جوازُ البكاءِ على الميتِ ولو كان مسموعًا؛ لقوله: «فَسُمِعَ صَوْتُ صَائِحَةٍ»، ما لم يَصر إلى الحَلْق والسَّلْق والخَرْق ودعوى الجاهلية.

السابعة: فيه أن مَن عادَى أصحابَ النبيِّ ﷺ لا يُنتظر منه الرحمةُ لهم، فالفَتْكُ والتمثيلُ بالأمواتِ والتقطيعُ لهم هو خُلُقٌ وسجيَّةٌ تدلُّ على ماهيّة قلوبهم.

الثامنة: استحبابُ المبادرةِ ببشارة المسلم إذا علمت البشارة.

التاسعة: فيه جوازُ ذِكرِ مناقبِ الميتِ إذا كانت صحيحةً ما لم تُفْضِ إلى نَعْيِ الجاهليةِ.

العاشرة: فيه أن مِن أحسنِ ما تكون به تعزيةُ أهلِ الميتِ هو ذِكْرُ فَضلِهِ وما مات عليه مِنَ الخيرِ.

الحادِيَةَ عَشْرَةَ: فيه بيانُ منزلةِ أصحابِ النبيِّ ﷺ سِيَّمَا الشهداءُ عندَ اللهِ تعالى وعندَ رسولِهِ ﷺ.





أخبرني الشيخُ الصالحُ المعمَّرُ عبدُ العزيز بنُ صالحِ بنُ مَرْشد النجديُّ الحنبليُّ قراءةً عليه بالرياض، أخبرنا سعد بن عتيق، أخبرنا نذير حسين بإسناده(١) إلى الإمام البخاري قال:

حدَّثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا الليث، حدثني سعيد بن أبي سعيد أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال:

بعث النبيُّ ﷺ خيلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فجاءت بِرَجُلٍ من بني حنيفةَ يقال له: ثُمَامةُ بن أُثالٍ، فربطوه بساريةٍ من سَوَارِي المسجدِ، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: **(مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟)** فقال: عندي خيرٌ يا محمد: إن تقتلني تَقْتُلْ ذا دَمٍ، وإن تُنْعِمْ تُنْعِمْ على شاكرٍ، وإن كنتَ تريدُ المالَ فَسَلْ منه ما شئتَ، حتى كان الغَدُ، ثم قال له: **(ما عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟)** قال: ما قلتُ لكَ: إن تُنْعِمْ تُنْعِمْ على شاكرٍ، فتركه حتى كان بعد الغد. فقال: **(مَا عِنْدَكَ يا ثُمَامَةُ؟)** فقال: عندي ما قلتُ لكَ. فقال: أطلقوا ثمامة. فانطلق إلى نخلٍ قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، يا محمد، واللهِ ما كان على الأرضِ وَجْهٌ أبغَضَ إليَّ من وجهكَ، فقد أصبح وجهُكَ أحبَّ الوجوهِ إليَّ، واللهِ ما كان مِنْ دينٍ أَبْغَضَ إليَّ من دِينِكَ، فأصبح

(١) في الحديث الثاني.

دينك أحبَّ الدين إليَّ، واللهِ ما كان مِنْ بَلَدٍ، أَبْغَضَ إليَّ من بلدك، فأصبح بَلَدُك أحبَّ البلاد إليَّ، وإنّ خَيْلَك أخذتني وأنا أريدُ العمرة فماذا ترى؟ فَبَشَّرَهُ رسولُ اللهِ ﷺ، وأمره أن يعتمر، فلّما قَدِمَ مكةَ قال له قائلٌ: صَبَوْتَ؟! قال: لا، ولكن أسلمتُ مع محمدٍ رسولِ اللهِ ﷺ، ولا واللهِ لا يأتيكم مِنَ اليمامةِ حَبَّةُ حِنْطةٍ حتى يأذن فيها النبيُّ ﷺ.

• رواه البخاريُّ، ورواه مسلم عن الليث به نحوه، وفي لفظٍ لهما: «يقال له ثُمامة بن أُثال سيّد أهل اليمامة».

* * *

فيه مسائِلُ:

الأُولــى: فضيلةُ ثمامةَ بنِ أُثال الحَنَفيِّ سيِّدِ أهلِ اليمامةِ ﷺ من وجوه:

ـ الأول: إسلامه على يديْ رسولِ اللهِ ﷺ وفي مسجده.

ـ الثاني: بشارة النبيِّ ﷺ له بخيرَيِ الدنيا والآخرة.

ـ الثالث: ما كان عليه من مكارم الأخلاق التي لأجلها رجى النبيُّ ﷺ إسلامَه فأطلقه.

ـ الرابع: ما حصل على يديه من إسلام قومه في حياة النبي ﷺ وتهديد المشركينَ بقطعِ المِيرَةِ عنهم، وقوّته في ذات الله بين أظهُرِ المشركينَ، حتى إنه هو وقومَهُ ممن حاربوا مُسيلمةَ في الردةِ؛ كما هو معلوم في السِّيَرِ.

الثانية: فيه فضيلةُ بني حنيفةَ وخيريَّتُهَا؛ فإن النبي ﷺ بعث إليهم بعثًا ـ وبعوثه ﷺ هي لهداية الخلق أولًا ـ ولو لم يَرْجُهم ما بعث إليهم بعثًا، وقد كان؛ فقد جاءوا بسيدهم فأسلم، ثم أسلموا.

الثالثة: فيه فضيلةُ أهلِ نجدٍ كذلك.

الرابعة: فيه رحمةُ النبيِّ ﷺ بالخلق، وحلمه عمن قاتله، وَصَدَقَ اللهُ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وقد أثّر هذا في نفس ثمامة أثرًا عظيمًا فقال كلماته الثلاث في وجهه الشريف ﷺ ودينه وبلده، فللولاة والدعاة به أسوة.

الخامسة: فيه أن للإمام المَنَّ على الأسيرِ الكافِر بلا فديةٍ كما ذهب إليه جمهور السلف، بل للإمام على التحقيق الخِيَرَةُ في المَنِّ والفداءِ والقتلِ والاسترقاقِ، بحَسَبِ ما يراه مِنَ المصلحةِ.

السادسة: فيه أن على الداعية تقديمَ الرفقِ على العُنفِ؛ لأن ذلك من محبوباتِ اللهِ تعالى، ويَحصُلُ به مِنَ المصالحِ ما لا يُحصَى في دعوةِ الخلقِ.

السابعة: فيه جوازُ دخولِ المشركِ المسجدَ، سيَّمَا إذا قَضَتْ مصلحةٌ بذلكَ.

قال ابنُ المنذِرِ في «الأوسط»: «وإباحةُ دخولِ المسجدِ للمسلم الجُنُبِ الذيُّ أخبر النبيُّ ﷺ أنه ليس بنجس أَوْلى بذلك».اهـ. ويقوي هذا قوله ﷺ ـ كما في مسلم ـ لعائشة: **(إِنَّ حَيْضَتَكِ لَيْسَتْ فِي يَدِكِ)**؛ ففيهما إشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ [النساء: ٤٣] أنه من باب الإرشاد لا الحتم، كما ذهب إليه جماعةٌ. والله أعلم.

الثامنة: فيه استحبابُ اغتسالِ المشركِ بعد الدخولِ في الإسلامِ.

التاسعة: فيه أن مِن أعظَمِ ما يؤثر في القلوبِ هو الصلاةُ، وذلك في تلاوتها وهيأتها وصفاتها وآثارها وأحكامها وحِكَمِها، وما ينعكس على ذلك من أعمال القلوب، وهذا الحديث أصلٌ في جعل الصلاة التي هي عمود الدين وبيانها بابًا من أبواب الدعوة.

العاشرة: فيه إشارة إلى جواز حبس أهل المعاصي في المسجد، وذلك أن النبي ﷺ حبس مشركًا فأثّر فيه، فأهل المعاصي أولى. وقد بوّب عليه البخاري فقال: «باب الربط والحبس في الحرم».

الحادِيَةَ عَشْرَةَ: فيه إيماءٌ إلى جوازِ العقوبةِ بفعل الطاعاتِ، فإنه ﷺ حُبِسَ في المسجدِ ولم يُحَبَسْ في غيرِهِ.

الثانِيَةَ عَشْرَةَ: قال ابنُ حِبَّانَ: «في هذا الخبرِ دليلٌ على إباحةِ التجارةِ إلى دور الحرب لأهل الورع».اهـ.

الثالِثَةَ عَشْرَةَ: فيه أن كسبَ الرجالِ أعظمُ من كسبِ الأموالِ؛ فقد كان الصحابة يحبون فداء الأسرى بالمال ليستعينوا به على الخير، وكانوا يقولون: ما نصنع بقتل هذا؛ كما في رواية عبد الرزاق، وقد كان رأيُ النبيِّ ﷺ خيرًا من رأيهم، فقد نشر ثمامةُ الإسلامَ في قومه، وثبت أيامَ الردةِ، بل حارب المرتدين.

الرابِعَةَ عَشْرَةَ: فيه أن الإحسانَ يزيلُ البُغضَ، ويثبت الوُدَّ، وأعظمُ ما يكون الإحسانُ إذا عَظُمَ الجُرْمُ.

الخامِسَةَ عَشْرَةَ: فيه استحبابُ ملاطفةِ الأسيرِ إذا كان ممن يُرجَى إسلامُهُ، وهي صورةٌ جميلةٌ من صور معاملة الأسير في الإسلام، وانظر إلى أعداء الإسلام اليومَ كيف يعاملون مَنْ ليس بأسيرٍ ثم كيفَ يعاملون الأسيرَ المسلمَ، لترى عَظَمَةَ هذا الدينِ وما يَصنعُهُ بالنفسِ الإنسانيةِ.





الحَدِيثُ السَّابِعَ عَشَرَ

أخبرني الشيخُ الصالحُ المعمَّرُ عبدُ الرحمٰنِ بنُ شيخ الحِبْشي قراءةً عليه بالحَوْطة من حضرموت، عن أبي النصر الخطيب، عن عمر بن عبد الغنيِّ الغَزّي، عنِ المرتضى الزَّبيديِّ، أخبرني عبد الخالق بن أبي بكر المِزْجاجي، أخبرني يحيى بن عمر الأهدلُ بإسنادِهِ(١) إلى الإمام البخاريِّ، قال:

حدَّثَنا أحمدُ بنُ واقِدٍ، حدثنا حمادُ بنُ زيدٍ، عن أيوبَ، عن حُميدِ بنِ هلالٍ، عن أنسٍ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ نَعَى زيدًا وجعفرًا وابنَ رَواحَةَ للناسِ قبلَ أن يأتِيَهُم خَبَرُهم؛ فقال:

(أَخَذَ الرايَّةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ ـ وعيناه تذرفان ـ **حَتَّى أَخَذَهَا سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ)**.

• رواه البخاريُّ، وفي لفظٍ له: **(أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ، عَنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ فَفُتِحَ لَهُ)**، وقال: **(مَا يَسُرُّنَا أَنَّهُمْ عِنْدَنا)**، قال أيوبُ: أو قال: **(مَا يَسُرُّهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدَنَا)**.

وذلك في غزوة مؤتة.

❊ ❊ ❊

(١) في الحديث الأول.

فيه مسائِلُ:

الأُولــى: فضيلةُ ذي الجَنَاحَيْنِ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه؛ حيثُ استُشْهِدَ في هذه الغزاةِ وبكى عليه النبيُّ ﷺ.

الثانيةُ: فيه فضيلةُ حِبِّ رسول الله ﷺ زيدِ بنِ حارثةَ رضي الله عنه كذلك.

الثالثة: فيه فضيلةُ عبدِ اللهِ بنِ رواحَةَ الأنصاريِّ رضي الله عنه كذلك.

الرابعة: فيه فضيلةُ خالدِ بنِ الوليدِ رضي الله عنه **من وجوه**:

- الأول: تسميتُهُ سَيْفًا مِن سيوفِ اللهِ تعالى.

- الثاني: إضافتُهُ إلى الربِّ جلَّ وعَلَا إضافَةُ تشريفٍ.

- الثالث: إخبارُ النبيِّ ﷺ عنه بقوله: **(فَفُتِحَ لَهُ)**، وقد اختَلَفَ النَّقَلَةُ في نوعِ هذا الفتحِ: هل كان ثَمَّ قتالٌ فيه هزيمةٌ للمشركينَ، أو هو انحيازُهُ بالمسلمينَ حتى رجعوا سالمين؟

وقد جاءتِ الرواياتُ بهذا وبهذا، قال الحافظُ في «الفتح»: «يمكن الجمعُ بأن يكونوا هَزَمُوا جانبًا مِنَ المشركينَ، وخَشِيَ خالدٌ أَنْ يتكاثَرَ الكفارُ عليهم، فقد قيل: إنهم كانوا أكثرَ من مِائةِ ألفٍ، فانحازَ بهم حتى رجع بهم إلى المدينة». اهـ.

وقال الحافظ ابنُ كثير: «ويمكن الجمعُ بأن خالدًا لما أخذ الراية، حاش بالمسلمينَ حتى خَلَّصَهُم مِن أيدي الكافرينَ مِنَ الرومِ والمستعربةِ، وحَوَّلَ الجيشَ مَيْمَنَةً ومَيْسَرَةً ومُقدِّمَةً وسَاقَةً، تَوَهَّمَ الرومُ أن ذلك عن مَدَدٍ جاء إلى المسلمينَ، فلمَّا حَمَلَ عليهم خالدٌ هزموهم بإذن الله». اهـ مختصرًا.

الخامسة: قولُهُ: (**سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ**): فيه دَلالةٌ على أن هذا الوصفَ ليس محصورًا في خالدٍ رضي الله عنه؛ وعليه فلا يَرِدُ قولُ ابن المُطَهَّرِ الحِلِّيِّ: «إن عَلِيًّا أحقُّ من خَالدٍ بهذا الاسمِ» ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيميةَ في «المنهاجِ»: « يقال:

ـ أولًا: مَنِ الذي نازع في ذلك؟! ومن قال: إن عَلِيًّا لم يكن سيفًا من سيوف الله؟! والحديثُ يَدُلُّ على أن لله سيوفًا متعدِّدَةً، ولا ريبَ أن عَلِيًّا من أعظمها، وما في المسلمينَ مَن يُفَضِّلُ خالدًا على عليّ حتى يقال: إنهم جعلوا هذا مختصًّا بخالد.

ـ ثانيًا: عليٌّ أجلُّ قدرًا مِن خالدٍ، وأَجَلُّ مِن أن تُجعل فضيلتُهُ أنه سيفٌ من سيوفِ الله؛ فإن عليًّا له مِنَ العلم والبيانِ والدينِ والإيمانِ والسابقةِ ما هو به أعظمُ من أن تُجعَلَ فضيلتُهُ أنه سيفٌ من سيوفِ اللهِ؛ فإنَّ السيفَ خاصَّتُهُ القتالُ، وعليٌّ كان القتال أحدَ فضائِلِهِ، بخلافِ خالدٍ؛ فإنه كان هو فضيلَتَهُ التي تَمَيَّزَ بها عن غيرِهِ، لم يتقدم بسابقةٍ ولا كثرةِ علمٍ». اهـ مختصرًا.

السادسة: فيه ما كان عليه أصحابُ النبيِّ ﷺ مِن بَذْلِ نفوسِهم لإعلاءِ كلمةِ اللهِ، وهي أغلى ما يملكونه مِن دنياهم، ومِن عِظَم محبتهم لله ورسولِهِ أنهم قاتلوا حتى آخِرَ رَمَقٍ، وقد جاء هذا مفصَّلًا في هذه الغزوةِ، ومِن ذلك ما في البخاريِّ عنِ ابنِ عُمَرَ قال: «فَالْتَمَسْنَا جَعْفَرَ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ فَوَجَدْنَاهُ فِي القَتْلَى، وَوَجَدْنَا مَا فِي جَسَدِهِ بِضْعًا وَتِسْعِينَ؛ مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ».

السابعة: فيه عَلَمٌ مِن أَعلامِ النبوَّةِ؛ حيثُ أخبر ﷺ بما وقع بمؤتة قبل مجيء خَبَرِهم.

الثامنة: فيه جوازُ تعيينِ الإمامِ الولاةَ على الترتيبِ.

التاسعة: فيه أن الإمامَ لو عَهِدَ بالإمامةِ إلى فلانٍ وَبعدَهُ إلى فلانٍ صَحَّ، وكانت الخلافةُ بعده على ما رتّبه؛ كما فَعَلَ النبيُّ ﷺ هنا في أمراء غزوةِ مؤتةَ؛ كما قاله العلامة بدر الدين بن جَمَاعَةَ في تحريرِ الأحكامِ.

العاشرة: فيه جوازُ البكاءِ على الميِّتِ.

الحادِيَةَ عَشْرَةَ: فيه جوازُ الإعلامِ بموتِ الميِّتِ على المِنبَرِ، ولا يكون مِنَ النعيِ المنهيِّ عنه.

الثانِيَةَ عَشْرَةَ: فيه أن على الأُمَّةِ أن تسعى إلى تخصيص طوائفَ لكلِّ فنٍّ مِنَ الفنونِ الدينيةِ والدنيويةِ مما فيه خدمةٌ للإسلامِ؛ ومِن ذلك فنونُ السياسةِ والحربِ.

الثالِثَةَ عَشْرَةَ: فيه أن على الإمام أن يجنِّبَ أهلَ الإسلامِ الحربَ أو الاستئصالَ العامَّ، ولا سِيَّمَا إذا رمى العدوُّ الأُمَّةَ عن قوسٍ واحدةٍ، مهما قَدَرَ على ذلك واستطاعَ إليه سبيلًا، فإن هذا دَالٌّ على حكمتِهِ وحِنْكَتِهِ.

الرابِعَةَ عَشْرَةَ: قوله: (**مَا يَسُرُّهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدَنَا**): وذلك لِمَا لَقُوهُ مِنَ الخيرِ العظيم عندَ اللهِ تعالى والقُربِ منه سبحانه.

الخامِسَةَ عَشْرَةَ: فيه أن مَنصِبَ الخلافةِ إذا خَلَا من إمامٍ فتقدَّمَ مَنْ يصلُحُ له، كان على أهل الحَلِّ والعَقْدِ بيعَتُهُ، وإن كان في الأمَّةِ مَنْ هو خَيرٌ منه؛ حفظًا للأمة مِنَ الفِتَنِ؛ فما دونَ هذا المنصِبِ العظيمِ أَوْلى.



الحَدِيثُ الثَّامِنَ عَشَرَ

أخبرني العلامة المحدِّثُ الصالحُ عبدُ العزيز بن عبد الله الزَّهْراني الدَّوْسي قراءةً عليه بالمَنْدَق من بلاد زهران قُرْب الباحة، أخبرنا عبد الحق الهاشمي، أخبرنا أبو سعيد البَتَالْوِي، أخبرنا نذير حسين، أخبرنا محمد إسحاق الدهلوي، أخبرنا الشاهْ عبد العزيز بن الولي الدهلوي، عن أبيه، عن أبي طاهر الكوراني، أخبرنا العجيمي، أخبرنا البابلي، عن السَّنْهُوري، أخبرنا النجم الغيطي، أخبرنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، أخبرنا أبو النَّعِيم العُقْبي، أخبرنا أبو الطاهر بن الكُوَيْك، أخبرنا ابن عبد الهادي، أخبرنا أحمد بن عبد الدائم، أخبرنا ابنُ صَدَقَةَ الحَرَّانيُّ، أخبرنا أبو عبد الله الفُراويُّ، أخبرنا عبد الغافر الفارسيُّ، أخبرنا محمد بن عيسى الجُلُوديُّ، أخبرنا ابن سفيان الزاهدُ، أخبرنا الإمام مسلمُ بن الحَجَّاجِ، قال:

حدَّثَنا عمرٌو الناقدُ، حدثَنا عُمَرُ بنُ يونس اليماميُّ، حدثنا عكرمةُ ابن عمَّارٍ، عن أبي كثير يزيدَ بنِ عبدِ الرحمٰنِ، حدثني أبو هريرةَ قال:

كنتُ أَدعُو أُمِّي إلى الإسلام وهي مشركةٌ، فدعوتها يومًا، فأسمعتني في رسولِ اللهِ ﷺ ما أكرَهُ، فأتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ وأنا أبكي، قلتُ: يا رسولَ اللهِ إني كنتُ أدعو أمي إلى الإسلامِ فتأبَى عَلَيَّ، فدعوتُها اليومَ فأسمعتني فِيكَ ما أكرَهُ؛ فَادْعُ اللهَ أن يَهدِيَ أمَّ أبي هريرةَ، فقال رسول الله ﷺ: (**اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ**)، فخرجتُ مُستبشِرًا بدعوةِ

نبيِّ اللهِ ﷺ، فلما جئتُ فَصِرْتُ إلى الباب فإذا هو مُجَافٌ[١]، فسمعَتْ أمّي خَشْفَ[٢] قَدَمَيَّ، فقالت: مكانَكَ يا أبا هريرةَ، وسمعتُ خَضْخَضَة الماءِ[٣]، قال: فاغتسلَتْ ولبسَتْ دِرْعَهَا، وعَجِلَتْ عن خِمارِهَا، فَفَتَحَتِ البابَ، ثم قالتْ: يا أبا هريرةَ أشهدُ أن لا إله إلا اللهُ، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسولُهُ. قال: فرجعتُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فأتيتُه وأنا أبكي مِنَ الفرحِ. قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، أَبْشِر قد استجاب الله دعوتك وهَدَى أمَّ أبي هريرةَ. فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه، وقال خيرًا. قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ؛ ادعُ اللهَ أن يُحَبِّبَنِي أَنَا وأمِّي إلى عبادِهِ المؤمنينَ ويُحَبِّبَهُمْ إلينا. قال: فقال رسول الله ﷺ: (**اللَّهمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا** ـ يعني: أبا هريرة وَأُمَّهُ ـ **إِلى عِبَادِكَ المُؤْمِنِينَ، وحَبِّبْ إِلَيْهِمُ المُؤْمِنِينَ**).

«فما خُلِق مؤمنٌ يَسْمع بي ولا يراني إلا أحبَّني».

• رواه مسلم. وفيه من لطائف الإسناد أنّ أوله دَوْسِيٌّ وآخرَهُ دَوْسِيٌّ.

* * *

فيه مسائِلُ:

الأُولى: فضيلةُ أبي هُريرةَ رضي الله عنه **من وجوهٍ**:

ـ الأول: دعاءُ النبيِّ ﷺ له.

ـ الثاني: التصريحُ بأنه لا يَسمعُ به مؤمنٌ إلا أحبَّهُ، ففيه إشارةٌ إلى

(١) أي: مغلق.
(٢) **الخشف**: الصوت ليس بالشديد.
(٣) أي: صوت تحريكه.

أن مَنْ أَبغَضَهُ فليسَ بمؤمنٍ؛ ولذا بوَّب عليه الإمام أبو حاتمِ بنُ حِبَّانَ فقال: «ذِكرُ الخَبَرِ الدالِّ على أنَّ محبةَ أبي هُريرةَ مِنَ الإيمانِ».

وقال الحافظُ ابن كثير في «البداية»: «هذا الحديثُ من دلائِلِ النبوَّةِ؛ فإن أبا هريرة محبَّبٌ إلى جميعِ الناسِ، وقد شَهَّر الله ذِكْره بما قدّره أن يكون مِن روايته مِن إيراد هذا الخبرِ عنه على رؤوس الناسِ في الجوامعِ المتعددةِ في سائر الأقاليم في «الإنصاتِ يومَ الجمعةِ بين يدي الخُطبةِ والإمامُ على المنبرِ» وهذا من تقدير الله العزيز العليم ومحبة الناس له رضي الله عنه». اهـ.

ـ الثالث: غَيرتُهُ وحُزنُهُ على سَبِّ رسولِ اللهِ ﷺ، وعِظَمِ محبتِهِ له.

ـ الرابع: رِفْقُهُ بأُمِّهِ، ثم إسلامُها على يديهِ ببركةِ دعوةِ النبيِّ ﷺ؛ فكانت هذه الأمُّ المبارَكَةُ في صحيفةِ ابنِها البارِّ.

الثانية: فيه عَلَمٌ من أعلامِ النبوَّةِ في سُرعةِ استجابةِ اللهِ تعالى لرسولِهِ ﷺ.

الثالثة: استحبابُ المبادرةِ بتبشيرِ المسلمِ وقتَ حصولِ البشارةِ.

الرابعة: استحبابُ الإكثارِ من حَمدِ اللهِ والثناءِ عليه عندَ حُصولِ نِعمةٍ أو دَفْعِ نِقْمةٍ.

الخامسة: قوله: «عَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا»؛ **أي**: تَرَكَتْه. **والمعنى**: أنها بادرتْ إلى فتحِ البابِ بعد لُبسها الثيابَ قبلَ أن تَلْبَسَ الخِمَارَ، ففيهِ ما كان عليه نِساءُ الصدرِ الأولِ مِنَ الصيانةِ والورعِ.

السادسة: فيه أنَّ الكافِرَ السابَّ لله ورسولِهِ لا يَمْنَع سَبُّه الدعاءَ لهُ بالهدايةِ، فالفاسقُ من باب أَولَى؛ لأن هذا الدين رحمةٌ للعالمينَ.